

الأنوار الأسبوعي

بيروت – الاحد ٢٠ حزيران ١٩٧١ ، العدد ٢٨١٧



زمن التحوّل الاجتماعي

هكذا من الأصل



«الذي يأتي ولا يأتي!»

التربية السياحية

□□ الدعوة التي اطلقها الرئيس سليمان فرنجية لتنظيم «لبنان السياحي» تؤكد ان الاوطان لا تبنى بالخطب الاذاعية و« البرامج » التلفزيونية ... بل بتنمية القطاعات التي من شانها زيادة الدخل الوطني وبالتالي توفير الرخاء والبحبوحة والامنة الاجتماعية للمواطنين.

ولا شك في ان القطاع السياحي ، ان لم يكن اهم موارد لبنان الاقتصادية على الاطلاق ،فهو من بين القطاعات الرئيسية الاكثر تاثيرا على ميزان الدخل والاوثق ارتباطا بازدهار لبنان ونمائه . ومن هنا كانت الدعوة الى بناء لبنان السياحي والى توفير كل ما يضمن للسياحة في لبنان المناخ الملائم والشروط المناسبة .

وفي اعتقادنا ان الانماء السياحي يجب ان يعتمد بالدرجة الاولى على شيء قد يكون خاصا بلبنان وبمثيلاته من الدول السياحية ، الاوهو التربية السياحية التي يجب ان يخضع لها المواطنون ، كل المواطنين ، في مختلف الحقول والقطاعات والمؤسسات التي ينتمون اليها .

هذه التربية هي التي تعلم المواطنين ان السائح ليس غنيمة باردة للتاجر الجشع ، ولقمة سائغة للسائق المستبد ، وقطعا نادرا للذين يرون ان الدنيا مال كلها وثراء ، بل هو انسان اختار بلدنا من دون سائر البلدان لينعم فيه بالراحة والسكينة وجمال الطبيعة ، ومن حقه علينا ان نوفر له كل ما يجعل من اقامته بين ظهرانينا ذكرى من اجمل ذكريات حياته .

التربية السياحية وحدها هي التي تجعلنا ندرك ان سمعة لبنان في الخارج مرهونة بنوع معاملتنا للسائح، وان السائح الذي يسعد في لبنان هو ركيزة اقتصادنا الوطني.

— «الملحق» —

ملحق الانوار الاسبوعي

مجلة اسبوعية جامعة

رئيس التحرير : روبير غانم

المدير : جان بلطه

يصدر عن : دار الصياد للصحافة والطباعة والنشر ش.م.ل رأسمالها ٣ ملايين و٣٠٠ الف ليرة لبنانية مدفوع بكامله

المدير العام : بسام فريحه

الادارة العامة والتحرير : دار الصياد . الحازمية ، ص.ب ١-٣٨-٩١٨ تلفون ٢٨٠٠٢٦١ / ٤ خطوط

الاعلانات ، مكتب خاص . بناية فهمي وصالحة . الطابق الثاني غرف رقم ٣٥ و ٣٩ شارع سوريا . تلفون ٢٩٥٨١٧ - ٢٩٥٥٨٣ - ٢٥٩٩١١ . خط خاص للتوزيع ٢٨٥٨٧٨

زمن التحوّل الاجتماعي

تحقيق : حافظ محفوظ

□ قداسة البابا بولس السادس : تحولات اجتماعية □

□ صاحبا الغبطة البطريركان المعوشي وحكيم باتا المرجعين الاخيرين لقضايا زواج الموارنة والكاثوليك في الشرق □

□□ اذاع قداسة البابا بولس السادس في ١١ حزيران الجاري اجراءات للاسراع في تسهيل معاملات سعي الكاثوليك الى الغاء الزواج في المحاكم الكنسية .

وجاء ذلك في « رسالة بابوية » يعود تاريخ وضعها الى ٢٨ اذار الماضي ، عدلت مواد القانون الكنسي المتعلقة بالزواج الكاثوليكي ، على ان يعمل بها قبل اول تشرين الاول المقبل .

ونقاط التعديل الرئيسية في الرسالة هي الاتية :

— تعديل يسمح للزوجين بالحصول على الغاء زواجهما ، بعد صدور حكم من محكمة كنسية واحدة تصدقه محكمة اخرى دون محاكمة .

— خفض عدد قضاة محاكم الزواج من ثلاثة الى واحد في بعض الحالات . ويعني هذا الاجراء شمول العالم بالامتياز الذي منحه الفاتيكان محاكم الولايات المتحدة الكنسية قبل سنة ونصف السنة .

— السماح لقاض علماني بالاشتراك مع قاضيين كنسيين في القضايا التي ينظر فيها ثلاثة قضاة .

— السماح للمطران بالغاء الزواج بنفسه عندما يتوافر لديه دليل من « وثيقة صحيحة ومؤكدة» على ان الزواج غير شرعي استنادا الى اسباب لا شك فيها . ويبن هذه الاسباب الزواج بين اولاد العم .

— يحتفظ البابا لنفسه بدعاوى الغاء الزواج لرؤساء الدول والملوك واولادهم واولياء العرش .

— موضوع الغلاف —

□ « الرسالة البابوية » الاخيرة ، التي تتضمن تعديل القانون الكنسي وتسهيل معاملات الغاء الزواج ، اثارت موجة من الارتياح والاستحسان في الاوساط الكاثوليكية في العالم لما فيها من اختصار الوقت والجهد للمصاريف والمتاعب معا .

هنا يعلق « الملحق » على مضمون الرسالة ، ويركز اهم الاضواء على قانون الزواج الشرقي المعمول به حاليا □

(صورة [illegible])

ابعاد التعديل

هذه التعديلات لا تمس جوهر القوانين الكنسية ، والغاية الرئيسية من وضعها اختصار الوقت في دعاوى الغاء الزواج وتخفيف المصاريف على المتقاضين ، اذ كان الزوجان يضطران في الماضي الى مواجهة محاكمتين محليتين واحيانا محاكمة ثالثة في محكمة الفاتيكان الخاصة (الروتا) ، فجاء التعديل يعلن الاكتفاء بمحاكمة واحدة . وجاءت هذه الخطوة في توقيت مناسب ، بعد ان ازداد قلق الكنيسة من انتشار تفسخ حياة الاسرة وتفاقم اللجوء الى الطلاق المدني.

ولكن الابعاد العميقة التي تكمن وراء هذه البادرة الجريئة ، هي رغبة قداسة البابا وحرصه الشديد على عصرنة وتحديث نظام الكنيسة وتطوير عقلية القيمين عليه بحيث يواكب الحاجات الاجتماعية الملحة التي تفرضها مناخات وظروف السبعينات في كل بقعة من العالم . فالمشاكل الاجتماعية اليوم تتفاقم تفاقما رهيبا ، وغالبا ما يكون مصدرها قيود الرباط المقدس الذي يكتنفه في حالات كثيرة ظلام من المآسي الفظيعة التي تستلزم الحل السريع .

وكم من عقود الزواج الكاثوليكي تحمل الظلم والمتاعب لموقعيها دون ان يستطيعوا الخروج من مآزقها لصفة الديمومة التي ترافقها ؟ الطلاق في عرف جميع الاديان السماوية شر ، ولكنه كثيرا ما يكون اهون من الشرور التي يمكن ان تنتج عن استمرار الزواج الفاشل . والاسلام الذي يقر بتعدد الزوجات يدعو الى تجنب الطلاق قدر الامكان، وقد ورد هذا الموقف في الحديث الشريف : (« ابغض الحلال عند الله الطلاق ») .

مسؤولية الاساقفة

والبابا بولس السادس ، صاحب المبادرات التاريخية الثورية المشهودة منذ ارتقائه عرش البابوية ، شعر مع الملايين من ابنائه الكاثوليك المنتشرين في كل الاقطار وتحسس مواضع الهم وشكواهم وادرك اسباب تعاستهم التي تدور في فلك الاسرة الاجتماعية ، فدرس وتامل وراجع وخطط واستلهم المصلحة العليا للكنيسة التي تنشد ولا شك مساعدة رعاياها وتخفيف الامهم وتطويق مصاعبهم ، حتى توصل الى صيغة تمنح التسهيلات والتفسيحات الكبيرة للمحترقين بنيران الزواج الذي تشوبه الشوائب . ولعل في طليعة هذه التسهيلات تفويض مطران الابرشية الغاء الزواج بنفسه عندما يتاكد من بطلانه ولا شرعيته .

هنا تقع مسؤولية ضميرية بالغة الحساسية والدقة على السادة الاساقفة الذين خول اليهم قداسة البابا بعض صلاحياته لممارستها ضمن نطاق ابرشياتهم . ولكن من المتوقع الا يسيئوا الى هذه الثقة الغالية والامانة العظيمة لان قرارهم لن يكون مرتجلا وشخصيا بل سيستندون الى وثائق صحيحة لا يرقى اليها الشك والى وقائع جلسات المحكمة الروحية التي لا تبت بامر معروض عليها الا بعد التحليل والتنخيل والتمحيص والاستقصاء والتحري . اما الابرشيات الصغيرة او النائية التي تخلو من محكمة روحية وتنحصر سلطة الحل والربط فيها بيد الاسقف ، فان كل القضايا المتعلقة بالزواج مرتبطة ارتباطا مباشرا بهذا الاسقف الذي يصبح في هذه الامور « بابا » رعيته . ومع ذلك فان الله يهبه الحكمة والقوة حتى لا ينحرف من الاطر القانونية المرعية ، بالاضافة الى خضوعه لسلطة البطريرك الذي يحتفظ بصلاحية الاشراف على مجمع الاساقفة .

المحكمة الروحية المعلمنة

ومما تجدر ملاحظته في التعديلات الجديدة، خلع الطابع العلماني على هيئة المحكمة الروحية ، وذلك بالسماح لقاض علماني بالاشتراك مع قاضيين كنسيين في القضايا التي ينظر فيها ثلاثة قضاة .

ان هذا الاجراء هو دليل قناعة رأس الكنيسة الكاثوليكية بان العلماني يتفهم شؤون العلمانيين اكثر من الاكليريكي ، فالمشدوق لا يدركه الا من يكابده والجمرة لا تلدغ غير موضعها ، والقاضي المدني بالنتيجة يتعرض لمعاناة ما يعانيه الزوجان المتقاضيان ، اما القاضي الروحي فهو غريب عمليا عن هذه الاجواء لانه غير خاضع لتجربة الزواج والبنين وتشكيل العائلة .

ان كل التحركات التي يقوم بها البابا بولس السادس ، معطوفة على تحركات سلفه البابا يوحنا الثالث والعشرين ، تشكل انتفاضة تقدمية هيات انفتاحا رائعا ، للفاتيكان بشكل خاص وللكنيسة بشكل عام ، على مختلف التيارات العالمية المتصارعة . بل ان عصرية البابا الحالي المؤمنة بمبدأ تسريع الزمن اخذت توحي بتحول اجتماعي عالمي تطل تباشيره في مطلع تشرين الاول المقبل ، موعد البدء بتطبيق الاجراءات البابوية .

والى ان يحين ذلك الموعد ، يطرح « الملحق » هنا ابرز النقاط في قانون الزواج الشرقي المعمول به منذ ٢ ايار سنة ١٩٤٩ ، مع مقابلته بقانون الزواج الغربي في بعض المواضيع ، وتحديد صلاحية كل من البابا والبطريرك والاسقف قبل صدور هذه التعديلات ، وشرح طبيعة العلاقات بين السلطتين الروحية والمدنية ، وتحليل ملابسات انحلال الزواج او الغائه ، وموقف الكنيسة من الطلاق المدني الذي كان شيوعه في السنوات الاخيرة بين الدوافع الاولية لاتخاذ البابا خطوته الجديدة .

ما هو الزواج الكاثوليكي عقدا وسرا ؟

للزواج صفات خاصة تميزه عن سائر العقود ، فهو مقدس من طبعه وديني ، وقد فرضه الخالق لانماء الجنس البشري وانشائه على التربية الفضلى . ان الزواج يرمز الى اتحاد النفوس البارة به تعالى ، والى اتحاد كلمته بالطبيعة البشرية ، والى اتحاد المسيح بالكنيسة ، لذلك فهو سر بالمعنى الواسع ، وان عقده كافران .

وللزواج صفات اخرى ، فهو مؤبد من طبعه لا يفسخه رضى الطرفين بل الموت وحده ، وهو متبادل ، فلا يصح الا اذا عقده رجل وامرأة وفقا للقانون ، وليس لسلطة بشرية ان تعتبره صحيحا خلافا لرضى المتعاقدين، كما انه ليس للطرفين او اية سلطة بشرية مهما سما مقامها ان تنقص ما رتبه الخالق على الزواج من مفاعيل جوهرية او تحصره او تزيله بمرور الزمن مثلا .

وللزواج حالتان : الاولى حالة الزواج عند الانعقاد ، والثانية حالة الزواج بعد الانعقاد . ان العلامة او الرمز في سر الزواج هو تبادل الرضى الزواجي ، والمرموز اليه هو نعمة السر ، والرمز هو الوثاق الزواجي اي الزواج بعد الانعقاد . ان السر يتم في الزواج عند الانعقاد .

موانع الزواج

الزواج اما صحيح واما باطل . فالاول ما قام فيه الوثاق ، والثاني ما حال فيه دون قيام الوثاق مانع ما مبطل ، او عيب في الرضى او في الصيغة القانونية الجوهرية . ويكون الزواج الصحيح جائزا اذا عقد وفقا لمقتضيات الشرع ، اي بدون ان يبطله او يمنعه شيء ما . اما الزواج المحاول فهو الذي يعقده الطرفان مع علم احدهما على الاقل بقيام مانع يبطله .

والمانع بمعناه الواسع « كل ما يعترض دون عقد الزواج قانونا » .من ذلك مثلا . اولا : عدم اهلية الشخص لتقيده باحد الموانع كالعمر والعجز والقرابة وغيرها . ثانيا : عدم التقيد بالصيغة القانونية المفروضة . ثالثا : عيوب الرضى كالخوف والاكراه والغلط . رابعا : عدم الاستعداد الادبي لدى الهرطوقي والمنشق والخاطىء . خامسا : عدم التقيد بما يسبق العقد كالخطبة او الحصول على رضى الوالدين او اجراء المناديات . ان المانع بمعناه الواسع كان مستعملا في الشرع القديم ، وكان العلماء بالتالي يميزون في الموانع الناتجة من عيوب الرضى ، والثانية الموانع الناتجة من صيغة الرضى وكانت تسمى مانع الخفاء والمناديات ، والثالثة الموانع الناتجة من عدم اهلية الشخص .

اما الشرع الجديد فقد قصر مدلول لفظة المانع وحصره « بعدم اهلية الشخص » بحيث اصبح المانع بحصر المعنى يطلق فقط على كل ما يعترض دون عقد الزواج جائزا او صحيحا وفقا للقوانين . ومع ان العلماء قد اختلفوا في تحديد المانع ، ولم يفض الخلاف نص رسمي ، فالمتفق عليه ان المانع يبطل الزواج او يمنعه وان تناول مباشرة احد الطرفين فقط .

التفسيح

التفسيح طريقة مالوفة لازالة الموانع الزوجية برفع الزام الشريعة في حالة خاصة. ان بعض الموانع يزول بغير التفسيح . من ذلك مثلا مانع الوثاق الذي يزول بالنذر الرهباني الكبير او بتفسيح الحبر الاعظم ، قبل اكتمال الزواج ، او بموت احد الزوجين او بالانعام البولسي ، ومانع اختلاف الدين او المذهب الذي يزول باهتداء غير الكاثوليكي ، ومانع النذر بالخروج القانوني من الرهبانية ، ومانع الخطف بوضع المخطوفة في مكان آمن ، ومانع العمر والنذر الموقت بمرور الوقت اللازم .

وليس للكنيسة ان تترخص تفسيحا في الموانع الالهية كالعجز ، والوثاق بعد اكتمال الزواج ، والقرابة الدموية في الدرجة الاولى من الخط المستقيم ، انما لها السلطان المطلق على الموانع الكنسية ، وان كانت لا تستعمله دائما ، فهي مثلا لا تفسح ابدا في الدرجة الثانية للقرابة الدموية في الخط المنحرف ولا في درجات الخط المستقيم وتفسح نادرا في درجة القسوسية ، والخطف ، والقرابة الاهلية في الخط المستقيم بالاخص بعد اكتمال الزواج .

صلاحية الحبر الاعظم

للحبر الاعظم (البابا) ان يترخص تفسيحا في جميع الموانع الكنسية لانه واضعها وله ايضا بسلطانه النيابي (نائب المسيح على الارض) ان يفسح لداع صوابي في بعض الموانع الالهية ، كالوثاق قبل اكتمال الزواج، والنذر . وليس من عادة الحبر الروماني ان يترخص تفسيحا في بعض الموانع الكنسية كدرجة الاسقفية لعقد الزواج ، واما درجة القسوسية فقد ترخص ويترخص فيها تفسيحا في القليل النادر .

يصدر تفسيح البابا بواسطة المجامع الرومانية في المحكمة الخارجية ، وبواسطة ديوان التوبة في المحكمة الباطنية . ان التفسيح في مانعي اختلاف الدين والمذهب محفوظ لمجمع « السنتوفيشيو » . ويفسح مجمع الاسرار في الموانع الاخرى لكل الطالبين، ما عدا الشرقيين منهم الذين ، وان عاقدوا الغربيين ، فامرهم منوط بالمجمع الشرقي .

لديوان التوبة ومجمع السنتوفيشيو ومجمع الاسرار والمجمع الشرقي ان تفسح بموجب صلاحياتها ، وان شغر الكرسي بوفاة الحبر الاعظم ، على ان تعرض عليهم الحوادث المالوفة اي التي ليست على جانب خطير من الاهمية ، كالحوادث التي يفسح فيها مقصورة بالعبارة الاتية : « بعد مباحثة قداسته » . وديوان التوبة يعمل كل ايام السنة ما عدا الاحاد والاعياد ، ويمكن عند الضرورة مراجعة احد موظفيه بصورة خاصة وفي اي وقت كان، وللمجامع الرومانية عطلة من العاشر من ايلول حتى الحادي والثلاثين من تشرين الاول ، الا ان بعض الموظفين يقومون ، في اثناء العطلة ، بمعالجة الامور المستعجلة .

صلاحية البطريرك

للبطريرك ، فضلا عما قد يكون له من سلطان اوسع بقوة الانعام او الشرع الخاص، ان يفسح لمرؤوسيه الخاصين ولابناء الطائفة الموجودين في البطريركية ، وان لم يكن فيهما مسكن او شبه مسكن ، في الموانع الاتية :

اولا : في الموانع المانعة ما عدا الناشئة منها عن اختلاف المذهب او النذر الرهباني الاصغر المبرز في رهبانية اقرها الحبر الاعظم .

ثانيا : في الموانع المبطلة الصادرة عن القرابة الدموية في الدرجات ٤،٥،٦ من الخط المنحرف ، ومن القرابة الاهلية من الصنف الاول (وهي القائمة بين احد الزوجين واقارب الاخر الدمويين) . في الدرجات ٢،٣،٤ من الخط المنحرف ، ومن الصنفين الثاني (وهي القائمة بين اقارب كل من الزوجين الدمويين) والثالث (وهي القائمة بين احد الزوجين واقارب الاخر الاهليين او اقارب احد الزوجين الدمويين واقارب الاخر الدمويين) في جميع الدرجات ، وعن الحشمة في الدرجة الثانية ، وعن القرابة الروحية ، في اكثر من سنتين كاملتين ، وعن الذنب بسبب الزنى والوعد بالزواج او محاولة الزواج . وله ايضا ان يفسح لاسباب جد خطيرة في صيغة الزواج اذا كان احد الطالبين غير كاثوليكي ، معمدا كان او غير معمد ، وذلك بعد التفسيح في مانع اختلاف الدين او المذهب .

صلاحية الاسقف

للاسقف ، فضلا عما قد يكون له من سلطان اوسع بقوة الانعام او الشرع الخاص، ان يفسح لمرؤوسيه الخاصين :

اولا : في الموانع المانعة ما عدا الصادرة منها عن اختلاف المذهب او النذر الرهباني الاصغر المبرز في رهبانية اقرها البطريرك او الحبر الروماني .

ثانيا : في الموانع المبطلة الصادرة عن القرابة الدموية في الدرجتين ٥ و ٦ من الخط المنحرف ، وعن القرابة الاهلية من الصنف الاول في الدرجة الرابعة من الخط المنحرف ومن الصنفين الثاني والثالث في جميع الدرجات ، وعن الحشمة في الدرجة الثانية ، وعن القرابة الروحية ، وعن القرابة الشرعية والوصاية ، وعن العمر ، على ان يكون الاسقف المفسح في هذا المانع الاخير غير خاضع لبطريرك وعلى ان لا يترخص تفسيحا في اكثر من سنتين كاملتين .

هل يجوز للمؤمن عقد الزواج المدني

الزواج المدني الزامي في فرنسا والمجر والمانيا وسويسرا ورومانيا وبلجيكا والنروج والسويد وامارة موناكو واللوكمسبورغ والبرازيل وبعض جمهوريات اميركا اللاتينية ، وهو اختياري في انكلترا والولايات المتحدة الاميركية ، واحتياطي في اليونان واسبانيا وبلغاريا وغيرها من البلدان . اما في روسيا السوفياتية فان الشريعة المدنية تصرح بان الزواج المدني المسجل في السجلات الرسمية هو وحده المعترف به .وفي ايطاليا فرض الزواج المدني الالزامي منذ ١٨٦٥ حتى « معاهدة لاتران » سنة ١٩٢٩ ، اما بعد هذه المعاهدة فقد اصبح الزواج دينيا تعترف به السلطة المدنية على ان يسجل في سجلاتها. وقد احتفظ بالزواج الاحتياطي للكاثوليك الذين لا يستطيعون عقد الزواج الديني اما عن سوء نية ، واما بسبب مانع مبطل وضعي لا تعترف به السلطة المدنية .

هل يجوز للمؤمنين في بعض الاحيان عقد الزواج المدني ؟ لا يجوز ابدا للمؤمنين ان يقصدوا عقد زواج حقيقي باقدامهم على عقد الزواج المدني بحصر المعنى ، الا اذا كانوا غير مقيدين بالصيغة القانونية او بما يبطل زواجهم . ولا يجوز ابدا للكاثوليك منهم عقد الزواج المدني الاختياري او الاحتياطي حتى باعتباره محض معاملة مدنية ، ولهم عقد الزواج الالزامي باعتباره محض معاملة مدنية لا بد منها للحصول على المفاعيل المدنية والمحافظة على مصلحة النسل ، على ان يقترن هذا الزواج بزواج كنسي . ان نية المشترع المدني ، عندما يعتبر الزواج المدني زواجا حقيقيا ، لا قيمة لها اذ انها لا تستطيع تغيير الشرع الالهي الذي يمنح الكنيسة وحدها السلطان المطلق على الزواج .

الطلاق المدني

يرذل قانون الزواج الكاثوليكي الطلاق المدني المقصود منه فسخ زواج المعمدين ، لانه يتضمن انكارا لديمومة الزواج ولسلطة الكنيسة المطلقة على سر الزواج . لذلك فان المشترع الذي يقر الطلاق المدني يرتكب ذنبا ثقيلا ، وكذلك الذي لا يقوم باية محاولة لالغاء مثل هذه الشريعة . ولا مفعول بتاتا للطلاق المدني على وثاق الزواج ، بخلاف مفاعيله المدنية، وهو ليس شرا بذاته وعليه فان اسبابا خطيرة تجيزه احيانا . فاذا كان الزواج باطلا لسبب من الاسباب ، جاز بل وجب في بعض الاحيان طلب الطلاق المدني للحصول على مطلق الحال في نظر السلطة المدنية وتجنب العقوبات المفروضة على متعددي الازواج ، على ان لا يعترف بان للسلطة المدنية ان تفسخ الوثاق الزواجي . وقد توجب الظروف احيانا « تصحيح الزواج المدني الباطل » ، تلافيا لخطر الخطا وتعويضا عن الاضرار .

وللمحامي ان يدافع ابدا عن صحة الزواج في دعاوى الطلاق المدني ، وله استلام كل دعوى طلاق مدني يجوز للموكل اقامتها . قد يوجب القانون المدني على المحامي قبول جميع دعاوى الطلاق ، ويهدده عند الرفض بشطب اسمه من لائحة المحامين ، وهذا شيء خطير بالنسبة الى المحامي . لذلك له قبول هذه الدعاوى ، على ان يكتفي فيها بعرض اسباب الطلاق مشيرا الى انه يخالف مبادىء الدين الكاثوليكي ، وعلى ان لا يقصد ابدا فسخ الزواج وتيسير زواج جديد للموكل ..

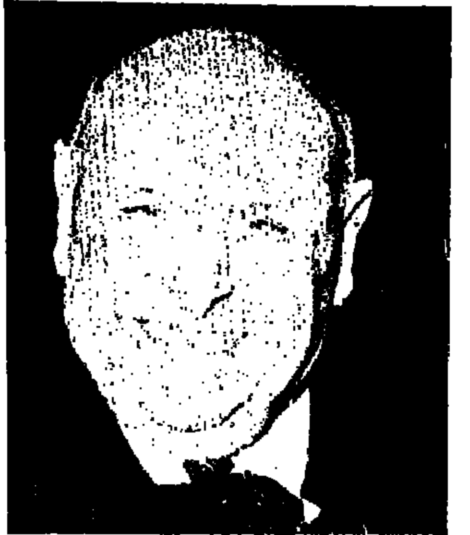
★ ★

هذه هي الصورة المصغرة للحالة التي يعيشها اليوم الكاثوليكيون مع الزواج . فكيف ستكون الحالة في المستقبل القريب بعد وضع الرسالة البابوية موضع التنفيذ ؟ لقد بدا بعض الاساقفة الشرقيين يعدون الدراسات والتصورات حول الوضع العتيد الذي طفق يشغل اذهان جميع الكاثوليكيين في العالم. على انه من المؤكد سلفا ان صفحة جديدة في حياة ٦٠٠ مليون كاثوليكي ستفتح قريبا لتعالج باحدث النظريات والاساليب منذ تاسيس الكنيسة حتى الآن اعمق مشكلة يتخبط فيها الانسان وهي الزواج .

«حكم الظل».. خبأ لبنان في الظل!

عائلات حوانة.. وأخرى بيتها براس "القلعة"!

بقلم اليان الاحمر



الشيخ بشاره الخوري : بين رياض الصلح و«السلطان»

الحكم في لبنان عجيب كمدينة العجائب ، غريب كغربة الضياع .. فيه كل شيء .. « وكل الشيء » هذا .. هو بحد ذاته لا شيء .. انه ، على كل حال ، حكم ، ولكن كيف يبدأ وكيف ينتهي ؟ اين يبدأ واين ينتهي ؟ ان احدا لا يستطيع الجواب الا بقلب الشفاه .. ويبقى الحكم يدور بين قطبين : « حكم الواجهة » و« حكم الظل» يتجاذب تارة وطورا يتنافر ، وبين التجاذب والتنافر تلمع صور الحكم في مختلف وجوهها ومظاهرها لتكتسب اجساما واشكالا تتناسب مع الظرف والحدث ولذلك ينتقل بين الطائفية والعشائرية معرجا على الاقطاعية دون التخلي عن الفردية . وتتداخل في كل ذلك العائلية التي تلف بدورها جميع هذه الامور وتلعب لعبة التجاذب والتنافر حسب مقتضيات المصلحة ...

وبما اننا في زمن « الثورة من فوق» فلا بد من كشف الواقع السياسي من « فوق » لالقاء الضوء على حقيقة «حكم الظل» الذي يلعب دورا رئيسيا بين التآلف العائلي والصراع حتى التصفية ..

الامير بشير الشهابي والهاجس ...

وقبل الدخول في صلب الموضوع ، لا بد من العودة ولو مرورا ، الى الماضي لنزع الستار عن خفايا الحكم في لبنان التي ما زالت تتفاعل حتى الان ، علنا نكشف من خلال الصراع العائلي هوية الحكم وابعاده .. وان كان الامر لا يقتصر على لبنان وحده بل له صفة الشمول في العالم العربي وفي العالم اجمع .. انها محاولة من في الحكم ، التخلص من كل منازع له .

ومثال على ذلك الامير بشير الشهابي ، اذ يكفي ان نعرف انه تخلص من جميع الذين كان يخشى ان ينازعوه الامارة ، وبينهم اقرباء للامير .. يكفي ان نعلم ذلك ، لندرك الهاجس الذي يتحكم بنفسية صاحب السلطان والنفوذ ...

نقطة الضعف

هذا وجه للصورة تؤته وجوه كثيرة منها «الاذن الحاكم» التي تستمع الى البطانة والحاشية والحشم والخدم .. والحاشية او البطانة تكون اعلم من سواها بنقطة الضعف عند الحاكم ، ومن هنا يكون لها دورها الاهم ...

وللتدليل على ذلك تكفي الاشارة الى دور البرامكة الذين حكموا في العصر العباسي عبر الخليفة هارون الرشيد .

بعد هذه اللمحة المقتضبة نعود الى بداية عهد الاستقلال في لبنان لنقوم برحلة في عائلية الحكم ، بغية الكشف عن شؤونها وشجونها لان فيها المؤلم والمثير كما فيها العبر العديدة .

« السلطان سليم » و « الفرع » الكبير

بعد انتهاء الانتداب وبروز عهد الاستقلال سيطرت « الخورية » على الحكم (نسبة الى الرئيس الشيخ بشارة الخوري) وانحسرت «الادية» (نسبة الى الرئيس اميل اده) .

جاءت دولة الاستقلال وعلى راسها الشيخ بشاره الخوري تحكم ولا معارض . وفي غمرة فرحة الاستقلال اخذت «فروع» الحكم تنمو وتكبر سريعا وكان اكبر «فرع» هو الشيخ سليم الخوري الذي اخذ يتحرك افقيا على صعيد الشعب حتى اصبح الآمر الناهي يرفع هذا ويخفض ذاك .. فارتفع شانه في عيون الناس حتى اطلقوا عليه لقب«السلطان سليم » ...

رياض الصلح وتصرفات كاظم ...

وقادت تصرفات السلطان سليم الى عدة مشاكل على صعيد الحكم بسبب اصطدامه برئيس الوزارة انذاك المغفور له رياض الصلح الذي كان يعارض العديد من تصرفات السلطان سليم ...

وكما ان السلطان سليم كان يتضايق من رياض الصلح ، فان الامور لم تكن دائما على النحو المطلوب بين الشيخ بشاره وكاظم الصلح . حتى ان رياض الصلح سمع كلاما من الشيخ بشاره ينم عن عدم ارتياحه لبعض المواقف المتصلبة التي كان يقفها كاظم وهو رئيس حزب النداء القومي » .

ونتيجة هذه الاجواء عمد رياض الصلح الى تعيين قريبه كاظم الصلح سفيرا في العراق فابعده عن لبنان بطريقة لبقة .

بعض الذين عاصروا رياض الصلح قالوا ان ابعاد رياض لكاظم كان سببه الحرص على عدم وجود مزاحم له على الحكم . وكان كاظم انذاك في طليعة المرشحين لتولي منصب رئاسة الوزارة .

غير ان اوساط آل الصلح تنفي هذا القول وتؤكد ان هذه الفكرة لم تراود مخيلة المغفور له رياض لان التعاون بينه وبين كاظم كان وثيقا جدا .

وتضيف : « ان رياض اعتراه في اخر ايامه بعض الملل بسبب تصرفات عدد من النواب فقال لقريبه كاظم في احدى الجلسات : « اني ارى ميلا لدي لترك المجلس النيابي والرسميات والانطلاق للعمل العربي الواسع . وتتمرس انت ـ اي كاظم ـ بعدي بالمسؤولية والنيابة .

وتقول هذه الاوساط ان كاظم رد على رياض قائلا : « اذا كان لبقائي هنا من لزوم فاني ابقى ولا اذهب الى العراق .حتى اني اؤثر البقاء » .. فرد رياض قائلا : « كلا بل تذهب الى العراق لتوطيد العلاقات معه لمصلحة لبنان ـ يومها كان النفوذ العربي للعراق ـ ولا يدوم بقاؤك هناك سوى بضعة اشهر لا تصل الى السنة وتعود .. وليس في ذلك انتقاص من مكانتك على الاطلاق ».

خلاف الاشقاء

وكانت تصرفات السلطان سليم المعول الذي هدم عهد شقيقه حتى قامت « الثورة البيضاء» عبر مهرجان دير القمر الذي طلب فيه نزول الشيخ بشاره عن كرسي الرئاسة، فنزل ، وانتهت بنزوله اسطورة السلطان سليم ..

. اما عوامل الصراع على النفوذ والسلطة فلم تزل بل تجسمت بالشيخ خليل الخوري وشقيقه الشيخ ميشال ، اذ ان الاخير اختط لنفسه طريقا في الحياة العملية بعيدا عن الاضواء ومن الاثارة بينما كانت تصرفات الشيخ خليل موضع نقاش .. ورغم قرابة الدم والاخوة فقد مرت العلاقات بين الشقيقين في مراحل من الجمود بسبب المطامح السياسية ، وقد تجلت هذه المطامح في معركة الرئاسة الاولى في الصيف الماضي عندما طرح الرئيس صبري حماده اسم الشيخ ميشال الخوري كمرشح لرئاسة الجمهورية ، وقام الرئيس صائب سلام بزيارة للشيخ خليل الخوري في منزله اعلن في نهايتها ان الشيخ خليل يتساءل لماذا يكون شقيقه وليس هو المرشح للرئاسة الاولى ؟! وعلى هذا الاساس قال سلام ان « تكتل الوسط »يؤيده اذا ابدته كتل النهج .

مرت اشهر كان الشيخ خليل والشيخ ميشال لا يلتقيان الا مرة في الاسبوع وعلى مائدة الطعام في احد المطاعم .

الاخوان اده : بين المظاهر والتنافس

وكما عند «الخورية» كذلك عند «الادية» اذ رغم كل ما يقال عن اتفاق العميد ريمون اده وشقيقه بيار اده في الخطوط السياسية العامة ، فان معركة الرئاسة الاولى في العام الماضي كشفت وجود نوع من التباين في المواقف ، اذا لم نقل التنافس ، ذلك ان العميد اده رغم اعلانه اكثر من مرة عزوفه عن ترشيح نفسه لمعركة رئاسة الجمهورية ، وانه ربط هذا الترشيح بترشيح العماد فؤاد شهاب ، فانه كان يعمل في اطار مخطط محدد يؤمن به ويتعلق بالرئاسة الاولى ، وفي المقابل كان شقيقه بيار يشق طريقا الى بعبدا بوسائل ومخططات تختلف عن تلك التي اعتمدها العميد الى درجة لم يكن احدهما يعلم بتفاصيل وسائل الاخر .

خلاف « لحودي »

وهذه الظاهرة تشمل معظم العائلات اللبنانية العريقة في السياسة ، ومن هذه العائلات آل لحود في بعبدات ، حيث اخذ الصراع مأخذه بين العماد جميل لحود ونسيبيه سليم وفؤاد لحود حتى وصل الذروة على الصعيد الانتخابي ، حتى ان جميل وسليم خاضا معركة النيابة كل ضد الاخر بشكل عنيف .

واكثر من ذلك فان الخلاف دب بين الشقيقين سليم وفؤاد اذ ان الاخير حاول خوض معركة الانتخابات ضد شقيقه اذا لم ينسحب ويفسح له المجال ، الا ان الاشكالات التي رافقت انتخابات ١٩٦٨ ادت الى حل الخلاف على اساس ان يحل فؤاد مكان سليم في الانتخابات المقبلة . هذا مع الاشارة الى ان التطورات التي حصلت في انتخابات المتن الشمالي الفرعية بعد وفاة المرحوم الشيخ موريس الجميل والتي خاضها فؤاد لحود ربما ادت الى ابعاد معينة على صعيد الانتخابات المقبلة ، اذا لم تحل بعض العقد.

الشيخان بيار وموريس الجميل : الصراع الخفي

وما دمنا في منطقة المتن الشمالي فلا باس من الاشارة الى الصراع الخفي الذي كان بين الشيخ بيار الجميل ونسيبه الشيخ موريس الجميل والذي كانت الاوساط النيابية تتحدث عنه مشيرة الى الملابسات التي ادت الى اشتراك بيار وموريس في وزارة واحدة عام ١٩٦٠ وعام ١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ رغم انهما ينتميان الى حزب واحد . ذلك لان الاراء التي اطلقها الشيخ موريس والافكار التي طرحها كانت لها ابعادها وكان صاحبها يطمح الى رئاسة الدولة على امل تحقيقها .

وتضيف الاوساط النيابية العليمة قائلة ان هذا الطموح عززته همسة من الرئيس رشيد كرامي القيت في اذن الشيخ موريس مفادها ان مشاكل هذا البلد لا تحل الا بنظريات الشيخ موريس .

الا ان قرار المكتب السياسي لحزب الكتائب الذي اتخذ في جلسة سرية بتاييد ترشيح الشيخ بيار الجميل لمعركة رئاسة الجمهورية جاء ليثير بعض المكامن في النفس على حد قول بعض النواب .

والخلافات العائلية عديدة بعدد العائلات ، وصراع الاشقاء له الوان وانواع مختلفة . وهناك مثل حي في هذا المجال لا يزال يبرز على شاشة التلفزيون وعلى صفحات الجرائد، وهو الصراع بين رئيس الوزارة السيد صائب سلام وشقيقه المهندس مالك سلام ، بعد اقالته من رئاسة مجلس تنفيذ المشاريع الانشائية .. والملابسات التي احاطت بهذه الاقالة ما زالت تتفاعل على الصعيد السياسي حتى الان ، فضلا عن الحملات المتبادلة في هذا المجال والانتقادات التي لا يزال مالك يوجهها الى شقيقه ، والى بعض اعضاء الوزارة ..

والصور عديدة تكاد لا تحصى منها الوضع في عكار حيث تتصدر الشخصيات السياسية الواجهة اما الاشقاء فلهم الدور الرئيسي والبارز في تحضير الاجواء الملائمة للانتخابات النيابية ولاستمرار احكام السيطرة . فمثلا يتولى السيد مالك العلي ادارة دفة الامور لشقيقه سليمان العلي . وكذلك الحال بالنسبة لبشير العثمان وشقيقه ..

وما يقال عن عكار ينطبق على صور ايضا بالنسبة للدور الذي يلعبه السيد عبد الرحمن الخليل في تهيئة الاجواء الملائمة لشقيقه السيد كاظم الخليل .





ريمون اده وبيار اده : كـل يغني على ليلاه

الشيخان بيار الجميل وموريس الجميل : بين الافكار والمبادىء



صائب سلام ومالك سلام : صراع الاشقاء

الشيخان خليل وميشال الخوري : طريقان متضاربان في العمل

صورة الغرابة

من هنا تنشأ صورة الغرابة في الحكم وتعدد وجوهها ، ذلك ان السياسي يعتمد على الاشقاء والقبضايات لادارة دفة الامور في اطاره الانتخابي او نطاق زعامته ،وهؤلاء النافذون يتوسلون جميع الوسائل لتدعيم النفوذ مع ما يرافق ذلك من المخالفات والطغيان والتسلط والافتئات على حقوق الغير .. كل ذلك في نطاق « حكم الظل» .

ويكون دور السياسي في الواجهة تبرير اعمال حكم الظل من مقربين وقبضايات ، وبالتالي تكريس نفوذهم بمختلف الوسائل ،وفي طليعتها الاعتماد على الصلات براس الحكم من اجل تدعيم النفوذ وتمتين السلطان .. فنزول قداسة القانون وتنتهك حرمته .

من هنا كان وقوع السلطة التشريعية واحيانا القضائية تحت تاثير السلطة التنفيذية.. وتسخيرها لتدعيم النفوذ والسلطات لزعماء الواجهة بحماية اركان حكم الظل ..

> ### خلاف الزعامة
>
> تدور اتصالات داخل حزب الاتحاد الدستوري يقودها فريق من الشبان يطالب « بتزعيم» الشيخ ميشال الخوري على الحزب بدلا من شقيقه الشيخ خليل ليتولى القيادة استعدادا لمعركة الرئاسة الاولى .
>
> الا ان هذه المحاولة خلقت صراعا داخليا في الحزب يجري تطويقه ، خصوصا بعد عودة الشيخ خليل من السفر بعد غياب دام بضعة اشهر .

الوراثة

ان هذا الوضع المرير يشمل مختلف المناطق اللبنانية التي لا تزال تحكمها العائلات ،علما بان لبنان باسره يحكم من قبل العائلات لان عامل الوراثة هو المسيطر حتى الان ، في الوقت الذي يجب ان يزول هذا العامل من تقاليدنا السياسية ليفسح المجال لاصحاب الكفاية ، فلا تبقى الامية متحكمة في بعض العائلات عبر توارث السلطة او النفوذ .

ومما لا شك فيه ان سبب تصاعد عملية الوراثة مرده بالدرجة الاولى الى فقدان الدور الاساسي للاحزاب ، وبالتالي الى تكريس السلطة لهذا الواقع بتدخلها لانجاح هذا المرشح واسقاط ذاك ولتدعيم النفوذ هذا السياسي والتفضيل على سواه .

خطر العصبية العائلية

وبلغت العصبية العائلية في لبنان ، تحت تاثير هذه الاوضاع ، درجة باتت تشكل عبرها ، خطرا على الديمقراطية ، اذا لم يتم وضع حد لهذه العصبية ، وبالتالي وضع حد لتفرعاتها من وسائل الحكم والتحكم التي تعيشها المناطق ، لانها باتت تشكل تقليدا وعرفا يتولى القبضايات « صيانته » بمختلف الوسائل وكثيرا ما يرتفع الباطل وينخفض الحق في مثل هذه الحالة .

لذلك يجب تهيئة السبل لزوال عامل الوراثة هذا عن طريق تطبيق القانون والمحافظة على قدسيته .

وكذلك العشائرية

وهناك نوع من الحكم في لبنان تغيب عنه الدولة ولا تحضر الا في حالات دفع «الدية». انه الحكم العشائري الذي تعيشه بعض المناطق اللبنانية وخصوصا بعلبك ـ الهرمل.. حيث يستصرخ الدم ، الدم ولا يستسقى الا بالدم .. هناك حيث لا سلطان الا لتقاليد العشيرة وعاداتها .. ايضا مرحلة من التخلف تشد لبنان الى الوراء في الوقت الذي وصل الانسان فيه الى القمر ..

مثل هذا الواقع يجب ان يزول .. لا ان تكرسه الدولة بدفع «الجزية» . وازالته لا تكون بالحديد والنار .. بل بمعالجة الواقع الاقتصادي الذي تعيش فيه المنطقة.. وعندما تؤمن البحبوحة لابناء الشعب ومن ثم تفرض معها هيبة القانون على اساس المساواة .. تاخذ المواطنية الصحيحة طريقها الى البروز شيئا فشيئا لتصبح الاغلبية الساحقة .. وعندها تقدم الدولة « الفدية» او «الدية» لتنفيذ المشاريع بدلا من تقديمها لتعزيز الوضع الشاذ .. مما يمهد السبيل الى انتقال هذه الفئات الى مناخات العلم والاستقرار ، بدلا من توغلهم في ظلام المشاكل والاحداث ..

بناء الدولة الحديثة

ان بناء الدولة الحديثة يتطلب سقوط حكم الظل ، وسيطرة الحكم الاساسي ، حكم الدولة والنظام ، حتى توجه الامور بالطرق والوسائل الكفيلة ببناء الدولة وتحقيق التقدم بعيدا عن الاغراض الشخصية التي كرست وضعا شاذا على حساب الشعب اللبناني وعلى حساب كرامته .

ولسنا هنا في معرض تقييم الهدوء . ولكن بعد هذا العرض لحكم العائلات في لبنان وحكم الظل .. لا بد من كلمة صريحة الى سيد العهد الحالي وهي انه لديه كامل القدرة لبناء الدولة وتنفيذ القانون ومعاملة الجميع على قدم المساواة . وان احترام القانون والمساواة كفيلان بتعبيد الطريق للوصول الى الحكم المنشود عن طريق تغيير الذهنية التي سيطرت حتى الان بوجود ابناء الست وابناء الجارية ..

باننظار العدد المقبل

عندما يسرع التاريخ

●● تميزت قضية نشر وثائق روبرت مكنمارا وزير الدفاع الاميركي لحكومة جونسون المتعلقة بحرب الولايات المتحدة في الهند الصينية بعاملين رئيسيين: الاول يتعلق بالمحتوى المذهل الذي ظهر حتى الان من اصل « تقرير السبعة الاف ورقة » الخاص بوزير الدفاع السابق، والثاني ردة فعل ادارة الرئيس نيكسون ، وعلى الاخص وزير خارجيته وليم روجرز لعملية النشر هذه .

وابرز ما جاء في التقرير ما نسب الى جون مكنوتون رئيس مكتب السلامة الدولية في البنتاغون حول تبني نظريته في الستراتيجية العامة لوضع البلاد . وهذه النظرية تقتضي اعتماد المراوغة وتبرير « الكذبة الفيتنامية » ليس للفيتناميين والشيوعيين والاسيويين فحسب بل وللشعب الاميركي نفسه ، خصوصا قبل فترة انتخابات الرئاسة الماضية . فجونسون الذي ظهر بمظهر « المعتدل » امام خصمه « المتطرف » غولدووتر كان في الواقع غاية في القسوة والعنف فوق الساحة الفيتنامية . بينما كان يمثل « تيار الاعتدال » في الولايات المتحدة !

اما تصريح وليم روجرز من اسفه لنشر هذه الوثائق في هذه المرحلة بالذات وتفضيله ان تترك للتاريخ وللمؤرخين ،غاية في الطرافة والسذاجة. فالتاريخ بنظره عبارة عن ملفات تشويق تفتح بعد عشرات السنين اي عند انتهاء القضية او بالاحرى بعد التورط في قضية اخرى ينسى المجتمع معها مصاعب ومصائب القضية الاولى، خصوصا وان ابطالها يكونون في رحمة القدر .

ولعل المرة هذه كان التاريخ اسرع من الاشخاص ، والصحفيون اقدر من المؤرخين ، والجرائد اصدق من كتب التاريخ ... على الاقل في قضية فيتنام . فالتاريخ الذي يطالب به روجرز بعد عشرين او بعد ثلاثين سنة غير « تاريخ » اليوم . والتاريخ الذي قد تكتبه اجيال الاميركيين بعد عشرين او بعد ثلاثين سنة من اليوم لن يتصل باجياله ما قد يفعله بالاجيال التي بدأت تعيشه اليوم .

لعل كل شيء تبدل وتغير في هذه الايام : اسس الاخلاق ، اسس شن الحروب ، واسس كتابة التاريخ ، التي جاءت وقائعه قبل تحاليله ، ومحتوياته من دون ارائه .

عندما يسرع التاريخ في بلد السرعة يأتي بحقائق غير مقرونة بآراء وهذا ما أزعج وزير الخارجية فلم يستطع ان يقول فيه شيئا .

عندما يسرع التاريخ في بلد السرعة يأتي بوقائع سيكون لكل اميركي فيها رأي لتكتمل عناصرها .

عندما يسرع التاريخ في بلد السرعة يبدأ الحاضر بالتساؤل عن حاضره قبل ماضيه .

عندما يسرع التاريخ في بلد السرعة يكون السائلون والمسؤولون جنبا الى جنب .

عندما يسرع التاريخ في بلد السرعة يكون جونسون ونيكسون ومكنمارا وليرد وروجرز وراسك في جيل واحد واحد ، فيختلط السائل بالمسؤول لكن السؤال يبقى واحدا فيصبح الجيل الاميركي الجديد مادة للتاريخ وتاريخا له.

باسم امين خليفة

المشكلة الاقتصادية في لبنان -٢-

طريق الحل : موازنة حكم وعقلية تخطيط

□ بعد ان حلل الدكتور محمد عطاالله في القسم الاول من دراسته عن « المشكلة الاقتصادية في لبنان » (راجع الملحق تاريخ ٣٠ ايار ١٩٧١) تطور الاقتصاد اللبناني في العقدين الماضيين ، والنتائج المختلفة التي وصل اليها عبر مسيرته ، ينطلق في القسم الثاني من دراسته الى تحديد عناصر المشكلة الاقتصادية في لبنان ومضامينها ، ليخلص مع هذا التحديد وفي نهايته ، الى ترسم حل لهذه المشكلة يخرج بالاقتصاد اللبناني من عنق الزجاجة .

المشكلة الاقتصادية : ستة جوانب

نستخلص من هذه النظرة الى معطيات الاقتصاد اللبناني النتائج التالية :

اولا : لم يحل الاقتصاد اللبناني مشكلة العمالة ، فما زالت اعداد كبيرة من القادرين على العمل فيه اما لا تعمل او تعمل جزئيا او لا تقوم بالعمل المناسب . وسترتفع هذه الاعداد مع التزايد السكاني .

ثانيا : ما زال تكوين الاقتصاد اللبناني غير سوي ، مما يؤدي الى استعمال مختل في امكاناته الطبيعية والبشرية .

ثالثا : ما زال التثمير عشوائيا مما يؤدي الى هدر في طاقات النمو .

رابعا : زادت الفروق في الثروة والدخل بين الافراد والفئات والمناطق .

خامسا : اصبح الازدياد في عجز الميزان التجاري من متطلبات النمو الاقتصادي بالنمط السائد الان .

سادسا : يتحمل النقد اللبناني اعباء النقد الاحتياطي على حساب ثورة في التنمية الوطنية .

هذه النتائج التي تلخص في نظرنا المشكلة الاقتصادية في لبنان . وليست بالمشكلة الهينة . ان حلها يتطلب تكوين الحركة المالية الاقتصادية حتى يكون قادرا على دفع الناس الى التعلق بالوطن من طريق الاتصال في [illegible]

البطالة في لبنان : مشكلة مزدوجة

ومشكلة البطالة تأتي في راس المشاكل لانها [illegible]

كذلك في كل بلد ، ولان البلد لبنان . فاذا لم يستطع اي اقتصاد تامين العمل الكريم لكل راغب فيه ، انحط وتدهور وانصرف الناس عنه . اما في لبنان فطالما عرفنا ان المورد الاول هو الانسان فكيف نفرط به ونرميه للبطالة المدمرة ثم ان لبنان الان باكثريته شاب في شرخ الشباب ، يتعلم ويغترف المعارف ، ويتقن المهن ، ويحلم في وطن مثل الاوطان التي يتعلم عنها ومنها . ومع هذا ، فاننا في لبنان لا نعرف :

اولا : عدد الشباب الداخلين سوق العمل .

ثانيا : كفاءات الشباب الذين يطلبون العمل او سيطلبون العمل .

ثالثا : حاجات البلد الى الكفاءات في ضوء سياسة التنمية

بل اننا لا نعرف الى اي بلد نوجه الشباب اذا اعفونا من طلب العمل وقرروا الهجرة . من هنا كانت اسباب رفض الشباب ورفض الطلاب على الخصوص .

ويسرنا ان تكون بعض المؤسسات الحكومية المتخصصة قد بدات تقصيات حول هذه المسائل ، ونرجو ان تكون هذه التقصيات مرتكزا لاعلام دائم متجدد حول هذه المشكلة الام .

الحاح التوازن

وتكوين الاقتصاد غير السوي لا يمكن ان يستمر اطول مما استمر حتى الان . وارجو ان يكون واضحا ، كما رددنا مرارا ، باننا لا نعني من طلب السوية فيه اعطاء اهمية لقطاعي الزراعة والصناعة اكبر مما يقدران عليها ، ولا الانقاص من اهمية قطاعات الخدمات . بل نريد التشديد على ان الاقتصاد اللبناني المحروم من الموارد الطبيعية الى هذا الحد لا يسمح له بالتفريط قيد انملة في استثمار كل موارده الزراعية والصناعية على قلتها . كما نريد القول بان تضخم قطاع الخدمات قد يكون وصل الى الحد الذي لم يعد معه بامكانه الانطلاق دون قاعدة الناجية .

وتهمنا الاشارة الى ان لبنان قادر الان على مضاعفة اراضيه المزروعة بفضل مشاريع الري التي انفقت عليها المبالغ الضخمة من الاموال العامة طيلة السنوات الماضية ولم يؤد ذلك الى توجيه قطرة ماء من مياهها الى الارض . كما ان الصناعة اللبنانية التي تواجهها كل الصعوبات التقليدية تستطيع ان تنطلق بالموارد الهامة المتوفرة في اليد العاملة القادرة على اكتساب المهارات ، والصلات باصحاب الثقة في البلاد الاجنبية واصحاب الرساميل في البلاد العربية ، والمركز الممتاز الذي يتمتع به لبنان كسوق للترويج للسلع الاستهلاكية في المنطقة كلها ، والحس الذي يتمتع به الذوق اللبناني في توجيه الاموال المستهلكة فيها .

اولويات التثمير

والتثمير العشوائي بالاضافة الى انه تفريط بالموارد مضر بالاقتصاد الوطني يؤدي الى خسائر فردية ويصرف المثمرين الاجانب عن البلد ، كما يصرف المثمرين اللبنانيين الى الاسواق الاجنبية . واذا كان مسموحا ان يفتح باب التثمير على مصراعيه في بدء مراحل النمو لكثرة الحاجة الى التثميرات على اختلاف انواعها وفي كل الميادين ، فان توجيه التثميرات الى المشاريع التي تتمتع باولويات خاصة يصبح ضرورة في مثل المرحلة التي وصل اليها النمو في لبنان . ولربما كانت اهم نتائج الاهتمام بهذا الامر الانصراف الى التفكير الجدي بنوع التثميرات التي يحتاجها الاقتصاد الوطني من اجل توسيع قطاعات الخدمات وتدعيمها او من اجل دعم الانتاج الزراعي او من اجل الانطلاق الصناعي . كما ان من نتائجه المحتومة تحقيق التناسق بين الجهد التثميري في القطاع الخاص والجهد التثميري في القطاع العام . واربما كانت النظرة التنسيقية الى التثمير وسيلة الى توضيح العلاقة الصحيحة التي يجب ان تربط لبنان بالسوق العربية المشتركة والعلاقة التي يجب ان تربط السوق العربية المشتركة بما فيها لبنان بالسوق الاوروبية المشتركة وغيرها من التنظيمات الدولية .

حتى لا نحصد الحقد

وزيادة الفروق في الثروة والدخل اخذت تغرس الحقد الاجتماعي وتسير بالعلاقات بين الافراد والفئات في طريق التشدد وربما العنف . كما انها ادت الى الانفصام داخل البلد بين المناطق ، وتهديد الوحدة الاقتصادية والاجتماعية بالانهيار . وبالرغم من الوحدة الظاهرة في الصف العمالي يدعو الى الظن بان الانقسام حاصل بين العمال وارباب العمل ، فان حقيقة الوضع القائم انقسامان انقسام واحد : فهناك ارباب العمل والعمال من جهة ، وهناك العمال اصحاب الاجور المرتفعة نسبيا وظروف العمل المناسبة ، والعمال الذين يعيشون في درك سلم الاجور . والصورة الاجتماعية الكاملة للفروق الاقتصادية تبدو كما يلي :

عمال ضد ارباب عمل ...

عمال ذوو اجور منخفضة ضد عمال ذوي اجور مرتفعة ...

عمال زراعيون ضد عمال غير زراعيين ..

وليس يكفي ان تسن التشريعات الاجتماعية لحل هذه المشكلة ، لان بعضها فيما يهدف الى تضييق الشقة بين العمال وارباب العمل مثلا قد يؤدي بالطرق الى زيادة الشقة بين فئة عمالية وفئة عمالية اخرى . كما ان استعمال الانفاق الحكومي لا يكفي وحده لحل المشكلة ، بل يجب ان يستعمل العبء الضريبي وسيلة معالجة وتصحيحية ، وان يستعمل بامانة وشرف حتى يؤدي اغراضه ويكون مقدمة للجميع .

وزيادة الفروق في الثروة والدخل بين كل هذه الفئات نتاتي في الغالب من مصدرين رئيسيين : ارتفاع كلفة المعيشة الذي يصيب الدخل الحقيقي لذوي الدخل المحدود اي الفئات العمالية على الخصوص ، وارتفاع اسعار العقارات وغيرها التي تتاتي من التقدم العمراني والحضاري ولا تصيبها الضرائب فتزيد ثروة اصحاب الثروات اكثر فاكثر على حساب المجتمع . ان الجهد التصحيحي الذي يقع على عاتق الدولة في كلا الحالين يجب ان يتجه بصدق وسرعة الى التعويض عن الدخل الحقيقي المضروب بارتفاع كلفة المعيشة بشكل شبه آلي ، واخذ حصة المجتمع من التحسن الحاصل في الثروات دون هوادة .

الجمود : ثلاثة عوامل آنية

قلنا في مطلع كلامنا ان الجمود الحاصل في الاقتصاد اللبناني الان ناتج عن تضافر عوامل طويلة المدى وعوامل قصيرة المدى . ولقد اسهبنا فيما سبق في شرح العوامل البنيوية الطويلة المدى وتحليل ما تخلفه من مشاكل ، بقي علينا ان نلخص العوامل القصيرة المدى باثنين احدهما ليس قوة قاهرة بالمعنى الكامل لكلمة ، والثاني قوة قاهرة صرف . وسنضيف عاملا ثالثا نصنفه في مجرى الحديث .

١ — الازمة المصرفية : غير قاهرة

العامل الاول هو الازمة المصرفية التي عصفت بالاقتصاد ابتداء من ١٩٦٥ واستفحلت في تشرين الاول ١٩٦٦ وانتشرت اثارها فيما تلا ذلك . وبالرغم من ان لهذه الازمة المصرفية اسبابا في الاسواق المالية التي شهدت اول ازمة سيولة ابتداء من وسط سنة ١٩٦٥ ، كما ان لها اسبابا مهنية تتعلق بمستوى الاعراف والاصول المصرفية في قطاع مصرفي ناشئ مثل القطاع المصرفي اللبناني ، وكلا النوعين من الاسباب خارج الى حد بعيد عن قدرة السلطة النقدية مما يرشح الازمة للتصنيف كقوة قاهرة ، فاننا اميل الى عدم التسليم بهذا التصنيف لاننا ما زلنا نعتقد بان المصرف المركزي والدولة كانا قادرين ان لم يكن على تفادي الازمة تفاديا تاما فعلى الاقل التخفيف من وطاتها على الاقتصاد اللبناني .

وليس يهمنا في هذا المجال تحليل تلك الازمة ولا اثارها القريبة . بل سنحصر همنا في الاثر المتوسط المدى الذي تركته على الاقتصاد اللبناني والذي يتلخص بما يلي :

اولا : شددت رقابة المصرف المركزي على المصارف العاملة ، فحصرت اعمالها ضمن احكام قانون النقد والتسليف واضطرت الى تضييق تسهيلاتها المعتادة .

ثانيا : اخرجت من السوق كثيرا من المصارف المحلية التي كانت اقرب الى المقترض الصغير والمتوسط .

ثالثا : وجهت نسبة اكبر من الودائع الى المصارف الاجنبية التي لا يتيسر لها التوظيف ذي الحجم الصغير في السوق المحلي .

وكانت نتيجة هذه الازمة انكماشا في النشاط الاقتصادي .

٢ — حرب حزيران : قاهرة

العامل الثاني هو حرب حزيران نتيجة للعدوان الاسرائيلي . وهو عامل يخرج حتما من دائرة قدرة السلطات ، ويعتبر قوة قاهرة بكامل معنى الكلمة .

وكانت نتيجة هذه الحرب انكماشا في النشاط الاقتصادي في المنطقة كلها ، اصاب لبنان في اسواق خدماته وفي القطاعات التالية على الخصوص السياحة والبناء كما اصاب حركة التثميرات .

٣ — الدولة : قاهرة وقاهرة !

اما العامل الثالث فهو الدولة وزعمنا بان الدولة اكبر عامل مؤثر وحيد في الاقتصاد الوطني يعتمد على ثلاثة اسس هي ان هذا هو واقع الامر في معظم البلدان ، وان موازنة الدولة تتضخم سنة بعد سنة وتشكل نسبة متزايدة من الدخل الوطني ، وان الدولة مرتبطة قانونا بوضع خطة خمسية للتنمية .

وليس يخفانا ان هناك من يقول بان ما يصح في كل البلدان ليس بالضرورة صحيحا في لبنان . ولكن تبقى ، مع ذلك ، الموازنة والخطة .

موازنة عاجزة

ومع ان الموازنة بلغت في متوسطها السنوي حوالي ٢٠ بالمئة من الدخل الوطني ، وان خطة ١٩٦٥ — ١٩٧٠ قد لحظت انفاق ما يقرب من المئتي مليون ليرة سنويا على المشاريع الانشائية ، فان فعل الدولة في فترة الكساد والتي بدات في ١٩٦٦ كان غير ملحوظ . ويعود ذلك الى اسباب في طبيعة الموازنة والى طبيعة النظرة الى الخطة .

فالموازنة اللبنانية اصبحت مرهونة بغالبيتها العظمى للنفقات الجارية التي ترتفع سنويا بمعدل يفوق ضعف الزيادة في الدخل الوطني ويقرب من ١٢ بالمئة في السنة . مما يفقدها مرونتها وقدرتها على التاثير في النشاط الاقتصادي دفعا او لجما ، ويجعل قيمتها في السوق اضافة عددية صرف وغير واعية على الطلب الاجمالي .

ومظهر هذه الخصائص في الموازنة انها اصبحت شكلا ثابتا لا يتغير بتغير الحكومات وحتى بتغيير العهود الا في حدود التغير الشخصي البسيط . وليست هذه الظاهرة خاصة بلبنان ، بل انها اصبحت شائعة في كثير من البلدان حتى المتقدمة منها . ومن ذلك كان التساؤل عما اذا كان الحكم ما زال يعني التحوط او الاختيار ، ام انه اصبح الانحباس في حدود الموازنة الجامدة . ولكن اوجد علاج هذا الامر في بعض البلدان عن طريق الموازنات الانمائية الكبيرة التي توجه اليها موارد متعاظمة دون ان ترتبط بحاجات الانفاق الجاري او تقيد بنمو الموازنة العادية الثابتة . وهذا ما لم يحدث بعد في لبنان . وحتى يتم ، تبقى الموازنات فارغة من القدرة على التاثير في مجرى النشاط الاقتصادي .

وخطة خرافة

اما الخطة فما زالت خرافة ، في لبنان .

خرافة يوم ولد مجلس التصميم وكان جهاز التخطيط الاول في الشرق الاوسط في اوائل الخمسينات وخرافة يوم ماتت وزارة التصميم في حمى ايرفد وما بعد ايرفد .

وخرافة يوم بعث الحديث عن الخطة من اجتماعات بيت الدين الاخيرة .

الموازنة والخطة .. والمستقبل

ومع هذا فنحن بحاجة من اجل حل المشكلة الاقتصادية في لبنان الى الموازنة والى الخطة . ونحتاج اليهما من اجل الحلول الطويلة الاجل كما نحتاج اليهما من اجل الحلول القصيرة الاجل .

— اي من اجل تامين العمالة للشباب اللبناني .

— واجراء الاصلاح في تركيب الاقتصاد .

— وتامين العقلانية في التثميرات .

— ووضع السياسة لتامين الوحدة في الاقتصاد اللبناني وتقريب الفروق بين اللبنانيين .

— ومن اجل العمل على سد العجز في الميزان التجاري .

— والاستعمال الامثل لامكانات النقد الثابت .

● ويوم تصبح الموازنة اداة فعلية في يد الحكم .

● ويوم يؤمن الحكم بعقلية التخطيط لفعله يصبح في لبنان حكم .

يومها ، يتعلق الشباب بلبنان وتنفتح امامهم افاق الامل بالعمل .

ويقال الآن شبابا ، لتنا نعود شبابا حتى نرى مما نستحق له في بلادنا في العشرين سنة القادمة .

* العناوين الفرعية من وضع قسم التحرير

● بعد المؤتمر الوزاري السابع لـ "الأوبيك العربية" :

...وفشل المدسوسون على البترول العربي

بقلم : كريم خليل

●● لم يكن من المستغرب ابدا ان ينتهي المؤتمر الوزاري السابع لمنظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط (الكويت ٥ — ٧ حزيران — يونيو الجاري) الى المصير الذي انتهى اليه : رفع الجلسات قبل مناقشة اي موضوع ، واعلان خلاف حاسم بين اعضاء المنظمة حول طلب انتساب قطر بترولي هام اليها ، كان من المفروض ان يكون في عداد مؤسسيها ، وهو العراق .. وليس من المستغرب ايضا ان يؤدي هذا الخلاف ، اذا ما استمر الى نسف بنيان المنظمة ودفنها قبل انتهاء السنة الرابعة على حياتها .

فالمتتبعين لحياة المنظمة ولنشاطها كانوا يدركون ان موضوع طلب انتساب العراق اليها ، رغم عدم ذكره في جدول الاعمال المعلن ، سيكون الموضوع الرئيسي البحث في اجتماعاتها ، وان قبوله سيكون مفترقا في حياة المنظمة يوسع من قاعدتها ويضم اليها قطرا رئيسيا في صناعة البترول العربية ، مثلما يشكل رفضه بداية لمرحلة جديدة في العلاقات البترولية بين الدول العربية المعنية ، تبدا بتجميد منظمة « اوبيك العربية » وقد تنتهي بقيام منظمة جديدة ، مرورا بتكوين جبهات من بعض الدول المتمثلة في سياستها البترولية وفي مطامحها في استخدام هذه الصناعة الهامة فيها .

واذا لم يعد من السر القول ، بان الجزائر وليبيا قد قادتا حملة الاصرار على قبول طلب انتساب العراق ، وعدم بحث اية نقطة من جدول الاعمال قبل الانتهاء من هذا الموضوع ، فانه ليس سرا ايضا ان المملكة العربية السعودية ، ممثلة بوزير النفط والمعادن فيها الشيخ احمد زكي اليماني ، قد قادت حملة « الرفض المهذب » (على حد تعبير رئيس دائرة النفط في ابو ظبي) لهذا الطلب ، وذلك بطريقة غير مباشرة ، باصرارهما على تاجيل بحث طلب الانتساب ، مكملة بذلك مناوراتها السابقة التي ارجأت البحث في هذا الموضوع من المؤتمر الوزاري السادس (الكويت — كانون الاول ١٩٧٠) .

لكن الجديد الذي حمله المؤتمر الوزاري السابع ، لم يكن في قيادة الجزائر وليبيا لحملة انتساب العراق والاصرار عليها وتقديمها على اي امر .. ولا اصرار المملكة العربية السعودية على معارضة ذلك واللجوء الى المناورة حوله .. وانما الجديد كان في تغير مواقع القوى من الموضوع نفسه ، حيث ان بعض الدول الاعضاء في المنظمة قد وقفت موقفا مغايرا لما يشتهيه ممثل المملكة العربية السعودية .

وابرز تغير في هذا المجال كان موقف الكويت .

فالكويت ، التي تستضيف المنظمة والمختارة كمقر دائم لها .. والتي كانت في السابق تقف موقفا وسطا من موضوع انتساب العراق :

فهي تعلن موافقتها عليه لانه من طبيعة الامور ومن بديهياتها لانه ليس طبيعيا ابدا ان تكون هناك منظمة اقطار عربية مصدرة للنفط تضم امارات ضئيلة الانتاج والتصدير قليلة الاثر في صناعة البترول العربية وتطوراتها ، ولا يكون العراق عضوا فيها ..

ولكنها لا تصر على التعجيل بانتسابه ، ولا تلح في بحث طلبه ، مسايرة منها لبعض الاعضاء — وبالاحرى لعضو واحد — رغبة منها في ان لا يؤدي الاصرار الى توسيع شقة الانقسام في المنظمة والذهاب بها في متاهات الانحلال والموت .

وبهذا كانت الكويت تنسجم مع بديهيات الامور ومعطيات الموضوع ، وتحفظ بموقفها المعتدل الجسم من الانهيار .

وفي المؤتمر السابع .. لم يعد امام الكويت بد من الحسم : فارجاء بحث موضوع انتساب العراق من المؤتمر السادس الى المؤتمر السابع ، اذا كان « طبيعيا » بحجة العودة الى الحكومات ، لم يعد ممكنا في المؤتمر السابع بعد ان عاد الجميع الى الحكومات .. وبعد ان عاد اليماني نفسه الى حكومته مرتين : الاولى بين المؤتمرين ، والثانية خلال المؤتمر عندما سافر في احدى لياليه الى المملكة السعودية يستطلع راي كبار المسؤولين في موقفهم فيما اذا كان اصرار السعودية على معارضة بحث طلب العراق سيؤدي الى نسف المنظمة .

وعندما ظهر بعد عودة اليماني الى المؤتمر ، انه — كممثل للسعودية — غير مستعد للبحث في طلب العراق حتى ولو ادى ذلك الى تهديد المنظمة وتعريضها للانحلال ، لم يكن من بد امام الكويت من اعلان رايها بصراحة : ان ابعاد العراق من المنظمة فيه خروج على المبادىء التي نص عليها دستور المنظمة .. ولا يعطي انطباعا حسنا منها وعن تكوينها ومن هيويتها . وان قبولنا بارجاء البحث في الماضي ، كان لابعاد شبح الانقسام .. ولكننا الان لا نستطيع الا الاصرار على ادخال العراق الى منظمة كاد ان يكون في السابق عضوا مؤسسا فيها .

واذا كانت الكويت في ذلك تكاد تكون في موقف واحد مع كل من الجزائر وليبيا ، فان اليماني قد خسر فيها عنصرا قويا في المنظمة كان لقراره الرئيسي في كشف وجهة النظر المعارضة لدخول العراق ، وفي اخراج المنظمة نهائيا من بين الايادي التي ارادت منها تجميد صناعة البترول العربي عند حدودها الراهنة .

ولتوضيح هذه النقطة يجدر بنا الاشارة الى الدوافع التي تذكر عن اسباب معارضة « سعودية — اليماني » لانتساب العراق وايصال المنظمة حاليا الى مرحلة الجمود فالانحلال ..

فمن جهة اولى يقال ان غاية اليماني في الاساس من المنظمة كانت تجميد صناعة البترول العربي عند حدود الامتيازات القائمة ، وقطع الطريق على اي كلام او تهديد او تدبير يقضي بقطع النفط او وقف ضخه الى البلاد المستهلكة .. وقد تامنت هذه الغاية باتفاقات طهران وطرابلس الغرب الاخيرة ، ولم يعد مهما بعد الان استمرار المنظمة .. بل العكس بات من الافضل تجميدها وحلها منعا لها من ان تتطور الى الافاق الاوسع .

ومن جهة ثانية يقال ان الغاية من ذلك هي « رد الرجل » الى العراق الذي رفض سنة ١٩٦٨ الموافقة على الاشتراك في المنظمة كعضو مؤسس حتى لا يفسر موقفه يومها على انه متوافق مع سياسة اليماني الراغبة بابعاد مصر عبد الناصر عن اية علاقة او تدخل في القضايا البترولية العربية .

وايا كان السبب من الاثنين ، وقد يكونان معا ، فان الواقع ان سياسة اليماني التي طبعت المنظمة منذ انشائها ، يشير الى ان هذه السياسة لم تكن تتعدى مطلقا الوقوف بصناعة البترول العربية الراهنة عند الحدود الراهنة والحؤول دون تطورها الى مستوى تحريرها وربطها بالسيادة الوطنية ودمجها بالاقتصاد الوطني ومخططات التنمية العربية الحقيقية ... او على الاقل التخفيف من سرعة هذا التطور .

وقد تمثلت هذه السياسة بخطين متوازيين :

الاول ، اغراق كوادر المنظمة ببعض العناصر التي لا تتمتع بكفاءة علمية وعملية في صناعة البترول بقدر ما تتمتع بالقدرة على الامتثال لاوامر اليماني ولتعليماته ، وتكشفهم « كعناصر مدسوسة على البترول العربي » .

والثاني ، تحديد اطار ضيق للمنظمة لا تتحرك خارجه يتمثل في العمل على شراء بعض الناقلات وانشاء حوض جاف وغيرها من المشاريع البسيطة التي قد لا تنكر فائدتها ولكنها تبقى محدودة الاثر ، سواء بنوعها الذي لا يتصل ابدا بتطوير صناعة البترول العربية وتحريرها من نظام الامتيازات ، ام بحجمها الذي يكاد لا يظهر ويبقى معدوم الاثر في بلاد يشكل احتياطيها البترولي نحو ثلثي الاحتياطي العالمي ، ولا يقل انتاجها عن ٥ بالمئة من الانتاج العالمي .

وهذا الواقع ايضا هو الذي جعل اغلب نشاط العناصر المدسوسة متصلا بالسمسرة لشراء هذه الناقلة او تلك ، او للسمسرة لبيع بضعة الاف من البراميل .. الامر الذي لم يتمكنوا منه في النهاية بسبب عملية الرصد التي قام بها الاعضاء الجدد في المنظمة .

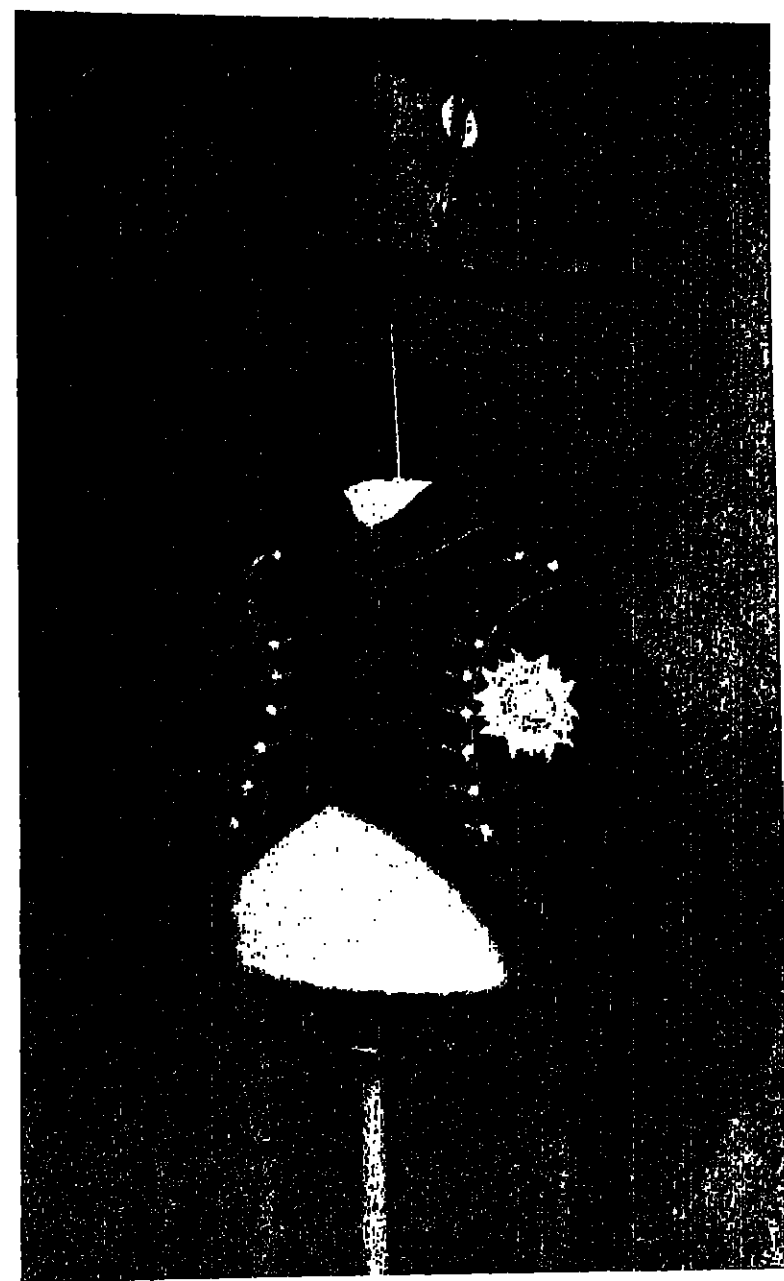
لقد كشف المؤتمر الوزاري السابع للمنظمة انه اذا كان بعض العاملين فيها يهتمون بمشروع انشاء شركة الناقلات ، اكثر مما يهتمون بتطوير التعاون البترولي بين الدول الاعضاء في المنظمة والتنسيق بين اقطارها .. فان البعض الاخر ، يعتقد ان البقاء ضمن هذه الدائرة من النشاط والاقتصار على سياسة قبول هذا البلد او ذاك سيؤدي الى نسف المنظمة من الاساس .

كذلك كشف المؤتمر انه لم يعد بالامكان — بعد التطورات البترولية المختلفة المتتالية منذ ثورة الفاتح من سبتمبر في ليبيا حتى قرارات التاميم الجزائري التاريخية — ابقاء صناعة البترول العربية (وبالتالي المنظمة) بعيدة عن التطور الراهن في صناعة البترول العالمية وعن التجاوب مع مطامح الشعوب العربية في تحرير ثرواتها البترولية واستثمارها استثمارا انمائيا وطنيا .

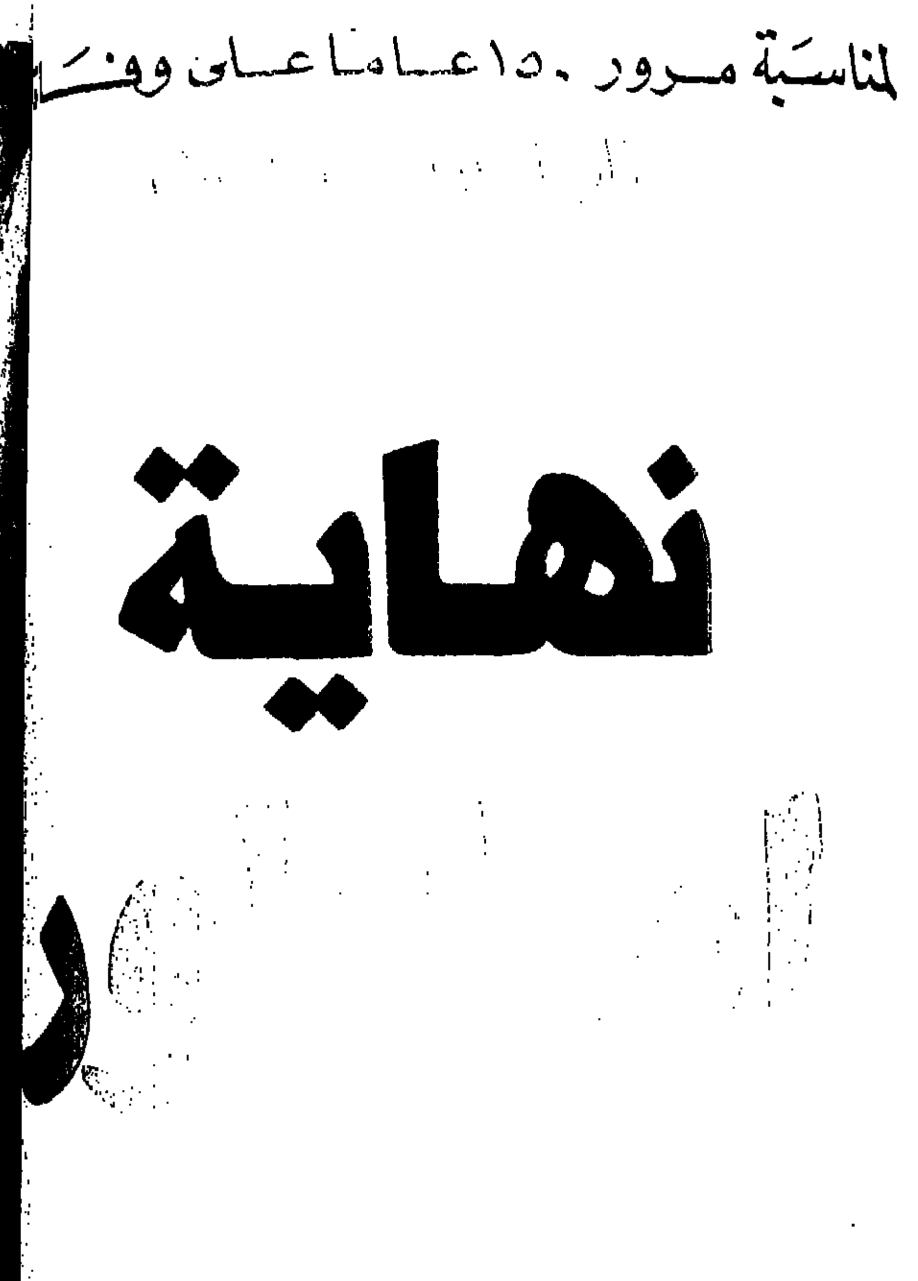
واذا كان جميع المسؤولين من البترول العرب مطالبين بمبادرات متنوعة ومتكاملة في هذا النطاق ، فان موقف الجزائر وليبيا ... والكويت في المؤتمر السابع يشكل واحدة من هذه المبادرات التي ما زلنا ننتظر الكثير منها والانتقال بها الى مراحل اكثر عمقا وتاثيرا .

هكذا من الأصل

لمناسبة مرور ١٥٠ عاما على وفـ...



□ رداء نابوليون التقليدي المعروف □



نهاية

بون ـ من عادل الياس

□□ « هذا ليس بالحدث العظيم ،يكاد يكون خبرا » !

بهذه الكلمات علق «تاليران» على نبأ وفاة نابوليون بعد مئة وخمسين عاما بالضبط . وعندما توفي نابوليون عام ١٨٢١ كان يومذاك في مرتبة الاساطير ، قوة فاعلة ملهمة ، حققت لفرنسا امجادا عريضة يزهو بها التاريخ .

واذا كان تاليران على حق في ما قاله عن وفاة نابوليون عام ١٨٢١ فقد استطاعت فرنسا بعد موته بثلاثين سنة ان تعيد بناء مجدها لتقع ثانية في قبضة القيصر الالماني ومستشاره الحديدي بسمارك سنة ١٨٧١ . وانتقلت الامجاد العسكرية كلها الى المانيا ، وحاول بسمارك في حملته العسكرية الشهيرة توحيد المانيا وبناء عظمتها وعظمة الرايخ الالماني . ولكن هذا الرايخ انتهى على يد هتلر من بعد ، وانتهى معه حلم المانيا في الوحدة الاوروبية التي كانت هدفا من اهداف نابوليون الكبرى .

ولكن هل هذا كل الحقيقة ؟ لقد قال نابوليون مرة في منفاه بجزيرة سانت هيلين : « حاولت توحيد اوروبا بواسطة سيفي ، ولكنني فشلت . وعلى الذي سيخلفني ان يحاول ذلك بواسطة الفكر والعقل » . ولم يكن هتلر ذلك الخلف المؤمل ولا بسمارك من قبله ، ولا تزال الوحدة الاوروبية الى اليوم الشغل الشاغل لرجال السياسة في اوروبا ، الغربية على الاقل . ومن هذه الزاوية ، زاوية تغيير الطريقة والاسلوب في محاولة التوحيد يجب ان ينظر الى نابوليون، والا ينظر الى ذلك القائد الفرنسي الكبير على انه رجل حرب وحسب .

فرنسا ... جوزفين ...

والان لنر كيف عاش نابوليون السنوات الاخيرة في منفاه بجزيرة سانت هيلين في جنوبي المحيط الاطلنطي .

المكان «لونغوود» في الجزيرة المذكورة والساعة تشير الى ما بعد منتصف ليل الخامس من ايار سنة ١٨٢١ . وكانت الرياح العاصفة

□ خلية نابوليون عندما كان قنصلا اول لفرنسا □

> «تاليران»: "هذا ليس بالحدث العظيم .. يكاد يكون خ...
>
> هكذا تكلم الامبراطور: "حاولت توحيد أوروبا بواسطة سيفي .. ولكنني فشلت وعلى الذي سيخلفني أن يحاول ذلك بواسطة الفكر والعقـ...

تضرب نوافذ البيت الخشبي الذي يقطنه نابوليون والامطار تهطل منذ ايام عدة دون توقف .

وفي صالة ذلك البيت وقف خمسة رجال الى جانب فراش الامبراطور الفرنسي يواكبون ساعاته الاخيرة . وطلب آنذاك ان يموت وهو على الفراش العسكري « سرير الميدان» الذي كان ينام عليه بين جنوده اثناء الحروب والغزوات . وكان اولئك الرجال الجنرال برتراند والجنرال مونتولون ، وطبيبه انتومارشي وخادمه مارشان ، و«علي» الذي قدمه له المصريون عندما احتل مصر وقطع طريق انكلترا الى المستعمرات الاسيوية والى الهند خاصة .

ومن وقت لآخر كان الحاضرون يتناوبون في رفع «الناموسيه» المنشورة فوق سريره حيث كان ممددا فاتحا فمه لقطرات الماء المحلى بالسكر التي كانت تسكب فيه ... وقرابة الساعة الثالثة من تلك الليلة سمع احدهم نابوليون يتمتم كلماته الاخيرة :فرنسا.. راس الجيش ... جوزفين ... ثم اغمض عينيه في غيبوبة دائمة وهو يعاني وطأة الحمى والالام .

نداء الى التاريخ

وفي الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي اجتمع مرافقوه الى المنفى في صالة البيت ينظرون النهاية ، وكان المطر قد توقف عن الهطول والرياح عن الصفير ، واشرقت الشمس تملأ الارض دفئا وحرارة . وفي الخامسة والنصف اخذت انفاس نابوليون تتوالى بسرعة وتقطع . وفي الخامسة والدقيقة التاسعة والاربعين اعلن الطبيب انتومارشي وفاة نابوليون . وعلى الفور امتدت احدى الايدي لتوقف عقارب الساعة الكبيرة المعلقة على حائط الصالة . وبدا البكاء الصامت يعلن انتهاء نفي القائد العظيم الذي بدأ في ١٧ تشرين اول سنة ١٨١٥ اثر اندحاره في معركة واترلو الشهيرة . لقد ذهب نابوليون بنفسه يومذاك الى العدو البريطاني وطلب حق اللجوء ، وقد بادر ربان السفينة البريطانية «بلروفون» عندما صعد اليها في ١٥ تموز سنة ١٨١٥ بقوله : « لقد قدمت لاعلن ولائي وخضوعي للقوانين البريطانية » ! اللجوء الى بريطانيا ؟ لقد كان ذلك وهما لا يمكن تصوره، لان بريطانيا قد اتخذت قرارها بنفي نابوليون الى جزيرة سانت هيلين التي تبعد ١٩٠٠ كلم من الشاطىء الافريقي والتي لا تتجاوز مساحتها ١٢٢ كلم ، وعدد سكانها (٥٢١٨) نسمة . ولكن نابوليون لم يعلم بخبر النفي الا في ٣١ تموز وهو في عرض البحر باتجاه انكلترا . ورفع يومذاك احتجاجه الشهير : « اني اوجه ندائي الى التاريخ الذي سيسجل كيف عاملني خصمي ، التاريخ سيسجل ان عدو انكلترا الذي حاربها عشرين سنة حضر طوعا عندما تخلى عنه القدر وطلب حق اللجوء واحترام قوانين بريطانيا . هل كان ذلك العدو يستطيع ان يقدم دليلا اوضح على ثقته ببريطانيا ؟ ولكن اجابت بريطانيا الطلب ؟ هذا ما سيسجله التاريخ » !

نعم يا سيدتي ... الحق معك

ومنذ ذلك الوقت والتاريخ يكتب مأساة الرجل الذي كتب هو تاريخ فرنسا خلال حقبة طويلة من الزمن . ومنذ ذلك الوقت راحت تتلاشى اسطورة نابوليون الديكتاتور المستبد في نظر شعوب اوروبا لتحل محلها اسطورة الرجل الذي تألم وتعذب خلال السنوات العشر التي قضاها في المنفى .

عشر سنوات لم تكف خلالها بريطانيا عن اهانة عدو الامس وقهره وتعذيبه ، على الرغم من ان الشعوب ، كل الشعوب ، لا ترضى ان يعذب شخص لا يستطيع الدفاع عن نفسه .

كان ذلك في ٩ آب سنة ١٨١٥ عندما بدأت السفينة « نورثمبرلند» المزودة باربعة وسبعين مدفعا رحلتها الشهيرة وعلى متنها نابوليون واتباعه ، في طريقها الى جزيرة سانت هيلين . ولم يمض وقت طويل حتى بدأ البحارة والضباط البريطانيون يبدون اعجابهم وتقديرهم للاسير الضيف . وقد حاول نابوليون ان يتعلم لغتهم ولكنه لم يفلح . والشخص الوحيد الذي لم يشعر نحوه بالاعجاب كان قائد السفينة الادميرال «كول بورن» . فقد كان يتبرم باصرار نابوليون على الاحتفاظ بلقبه «الجنرال بونابرت» . كما كان يمتعض من مغادرة نابوليون مائدة الطعام عندما يحلو له ، دون اي اعتبار لضيوف المائدة وشركائه فيها . وكانت تلك عادته عندما كانت اوروبا كلها تقريبا تحت سيطرته . وعندما ابدى الادميرال البريطاني اعتراضه على هذا التصرف اجابته زوجة الجنرال برتراند التي كانت ترافق نابوليون مع زوجها بقولها : « لا تنس ايها الادميرال انك امام رجل كان سيد العالم ، وان ملوكا كثيرين كانوا يتزاحمون لنيل شرف الجلوس الى مائدته..». ولم يكن بوسع الادميرال الا ان يجيب : «نعم يا سيدتي . الحق معك » .

أنا القيصر ...

وقضى نابوليون في الجزيرة ردحا من الزمن ناعم البال موفور الكرامة ، يركب الخيل ، ويستقبل الزوار ويجالس الندماء ويطالع شعر هومر وكورناي وموليير . ويكتب المذكرات والابحاث العسكرية ، الى ان حل على الجزيرة حاكم جديد يدعى « لوي » كان من الطامحين الى المجد والراغبين في ارتقاء سلم الوظيفة بسرعة . وظن لوي ان مضايقة نابوليون يمكن ان تكسبه تقدير رؤسائه فبدأ صراعه معه وكان سوء التفاهم العلاقة الوحيدة التي تربط بين الرجلين . وقال مرة نابوليون مشيرا الى لوي : « يا له من رجل لقيس ثقيل الظل . انني لا اجرؤ على تناول قهوتي معه خشية ان يضع لي فيها السم فيقتلني » . ومن هنا بدأت الشكوك تساور نابوليون من ان البريطانيين ارسلوا لوي لتسميمه وقتله تخلصا من نفقات نفيه التي كانت تبلغ ١٧ الف جنيه استرليني في السنة . وهدد لوي بتخفيض هذه النفقات الى النصف ، ثم وافق على تخفيضها الى ١٢ الف جنيه فقط . وعندما طلب لوي الى نابوليون ان يلبي دعوته لتناول الغداء اجاب نابوليون بحدة : « لقد اتيت الى هنا كجلاد يريد قتلي . كيف تعاملني هذه المعاملة ؟انك تحقرني عندما تدعوني لتناول الطعام معك ، وان تناديني بالجنرال بونابرت . انا بالنسبة اليك لا ازال القيصر ، وعليك ان تناديني بالقيصر . وانني ارفض دعوتك » . ثم اضاف نابوليون موجها كلامه للحاكم لوي : « ليس ثمة قوانين تسمح بجمع رئيس السجن الى مساجينه » .

ومنذ ذلك الحين امتنع لوي عن مقابلة نابوليون الى ان وافاه الاجل . وقد امتدت تلك القطيعة خمس سنوات كاملة .

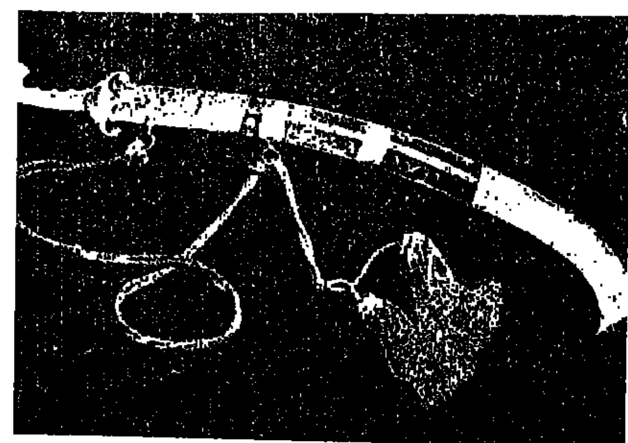
عودة البطل

وبدأت حياة نابوليون تتسم بالضجر والقلق بسبب سياسة لوي القاسية وغير الحكيمة ، واخذت الهموم تأكل جسم نابوليون وروحه وعقله وفكره . وبدأ مرافقوه يتخلون عنه ، واحس هو انهم يعدون الايام التي باتت تفصله عن الموت ليستعيدوا الحرية التي تخلوا عنها من اجله . وراجت سوق الاشاعات والاكاذيب في ما بينهم لتزيد حياة المنفى مرارة وقسوة . واستبد الداء بجسم نابوليون ، وعندما احس بطل فرنسا ان الموت اخذ يقترب منه كتب وصيته السياسية التي توجها بقوله : «في العالم قوتان هائلتان : السيف ، اي القوة ، والروح ، اي العقل . والقوة الوحيدة التي تسيطر في النهاية على العالم هي العقل » . وتنبأ في وصيته بأن المستعمرات البريطانية ستزول في يوم من الايام وان بريطانيا لن تستطيع اذ ذاك العيش الا من خيرات جزيرتها ، ذلك ان شعوب تلك المستعمرات ستتحرر وتطرد الاستعمار البريطاني . اما اوروبا فستنقسم قسمين ، الاول تحت امرة روسيا والثاني تحت سيطرة اميركا . وحذر شعبه من قبول الحكم الفرنسي الجديد ، وقال ان الشعوب لا يمكن حكمها الا برغبتها وارادتها وحريتها .

وعندما استعادت الحكومة الفرنسية سنة ١٨٤٠ جثة نابوليون من منفاه عاد الاعتبار الى القائد البطل كرجل كان ضحية الرجعية والتآمر ، واستقبل الشعب الفرنسي قائده الراحل استقبال الفاتحين العظام .



□ نابوليون في المنفى يملـي مذكراته □



□ سيف نابوليون هدية مصرية □



□ رأس حصان نابوليون «فيزير» الذي [illegible] معه الى منفاه □

هكذا من الاصل

الشيخ نسيب مكارم
(١٨٨٩ - ١٩٧١)



قصة ٨٢ سنة مليئة بالشوك...

ورث الخط الجميل عن امّه عذباء وأبدع فيه بريادة

تحقيق كتبه
فاروق أحمد الجمّال

□ اقام المعهد الانطوني في بعبدا في أواخر أيار الماضي معرضا للخطاط الكبير الشيخ نسيب مكارم برعاية الرئيس سليمان فرنجية عرضت فيه الروائع التي أبدعتها قصبة الفنان الرائد طوال ما يزيد عن نصف قرن .

وفي السادس من حزيران ، وكان المعرض لا يزال قائما ، توفي الله الشيخ نسيب مكارم عن عمر يناهز الثانية والثمانين ، فخسر الخط العربي ركنا من أركانه ، وافتقد لبنان وجيها نبيلا كان يشيع الجمال وينشر الابداع في كل مكان .

وتكريما للراحل الكبير مددت ادارة المعهد الانطوني المعرض عشرين يوما آخر لكي يتسنى للبنانيين المتذوقين ، أن يودعوا الشيخ نسيب من خلال روائعه وليقدروا فنه وموهبته عبر ما خلفه من اعمال وآثار .

□□ غيب الموت وجه الشيخ نسيب مكارم ، فتوارى معه علم خفاق من الكرامة والاباء ، وتحطمت ريشة امسكت بها يدكريمة معطاء ، كانت خير من خطت حرفا .

سكت القلب الذي كان ينبض بانبل المزايا واسمى المشاعر .

سكت الفارس الشجاع ، الذي عاش حياته ناسكا ، وشعاره الايمان بالله ، وحب الوطن ، والتضحية ، والمحبة ، والصبر ، والتسامح ، ونكران الذات .

قبل وفاته باسبوع قال لاحد اقاربه :

« كل ما اتمناه ان لا تنتقل حياتي بمرض، لا اتعذب ولا اعذب احدا ، فاذا وافتني المنية فلتكن بنفس الطريقة التي وافت بها والدي من قبل ، سكتة قلبية خفيفة ظريفة ، وبعدها ينتهي كل شيء » !

في ايامه الاخيرة كان يبدو مرتاح الضمير . وضميره ما اتعبه يوما الا في طلب المزيد من الجهد والتضحية !

والتاريخ مراحل وظروف لا تتشابه في سير ، ولا تلتقي في مصير ، وما ذلك الا لان صانعي التاريخ لا تجمعهم طريق واحدة ! . فهم متنوعو المطالب ، متباينو الاتجاهات .. لكل منهم هدف ، ولكل منهم مقصد ، ولكل منهم رسالة .

سطور من الحياة !

من هو الشيخ نسيب ؟

انه ابن سعيد بن سلمان بن حمود بن زين الدين مكارم . ولد في الرابع من ايلول سنة ١٨٨٩ .

والدته عذباء حسين يونس ، من عيناب ، تخرجت في مدرسة شملان الانكليزية ، وكانت تحمل شهادة «الهاي سكول» كما ان خطها كان جميلا !

كانت لوالدة الشيخ نسيب عائلة كبيرة مؤلفة من سبعة ابناء وابنتين هم : نجيب ، نسيب ، امين ، عبدالله ، عارف ، عارفه، نايف ، املي وفايز . تزوجوا كلهم ، وسافر اربعة منهم الى المهجر .

توفي والده وهو في الرابعة عشرة من عمره . فاضطر الى اعالة والدته واشقائه وهو في هذه السن المبكرة .

بلدة الشيخ هي عيتات :

(وعيتات بلدة قديمة ورد ذكرها مرارا في التاريخ اللبناني ولا سيما في تاريخ صالح بن يحي الذي يقول عنها انها كانت في القرن الثالث عشر تحت حكم الامير جمال الدين صبحي بن نجم الدين محمد بن صبحي المعروف بجمال الدين التنوخي وقد ملكه على عيتات وسائر المناطق الملك الناصر صلاح الدين

الشيخ واستانبول !!

□ عندما زار الخطاط المصري المعروف احمد عبد القادر بلدة عيتات عام ١٩٦٦ ، زار متحف الشيخ نسيب ، وعلق بقوله :

« لقد انتقلت استانبول الى عيتات » !

يوسف سلطان حلب (٦٢٤ — ٦٥٨ هـ —)!

وكانت عيتات في اواخر القرن التاسع عشر تعد حوالي الالف شخص ، وكان يسكنها الدروز وقليل من المسيحيين . وفي الحرب العالمية الاولى مات بعض من اهلها . وكان سكانها يتعاطون الزراعة كسائر اهل القرى اللبنانية .

لماذا ...
هرب من الخدمة العسكرية

وعائلة الشيخ نسيب مكارم اصلها من راس المتن ، هاجر اليها جده في ايام حروب ابراهيم باشا المصري . وسبب ذلك ان سلمان مكارم كان وحيدا لابيه حمود مكارم ، الذي كان متزوجا من عيتات ، طلبه ابراهيم باشا للخدمة العسكرية فلم يسلمه والده وخاف عليه لانه كان وحيدا فهرب به الى عيتات . ولم يخف الامر طويلا على حكومة ابراهيم باشا فاضطر الوالد الى بيع القسم الاكبر من اراضيه في راس المتن لتقديم شخص آخر للخدمة العسكرية وذلك بدلا من ابنه .

ولم يكن في عيتات انذاك الا بيت واحد من آل مكارم نزح في ما بعد الى الشويفات !

اشتهر احد اجداده بالنجارة . ومن آثاره المعروفة حتى اليوم احدى بوابات قصر بيت الدين الحلوة التي لا يزال الدليل يعرف عنها حتى اليوم بقوله : «هذه البوابة الجميلة هي من صنع بيت مكارم » !؟

سلمان مكارم جد الشيخ نسيب كان نجارا و«قردحجيا »..

وسعيد الوالد كان نجارا ايضا .

مات سعيد باكرا عن عمر يناهز الثلاث والاربعين سنة من جراء مرض في القلب . فاضطر نسيب لان يزاول العمل باكرا لاعالة والدته واخوته الثمانية !

كفاح مستمر ..

درس الشيخ نسيب مكارم في مدرسة سوق الغرب الخاصة بالبعثة الاميركية وتركها سنة ١٩٠٢ عندما مات والده ، وهو ابن ١٤ سنة !

كان قد تعلم على يد والده مهنة النجارة وتسلم عنه الورش ؟.

وفي الحرب العالمية الاولى تعاطى التجارة.

وصيف ١٩١٩ — تزوج من وسيلة سليمان فرج في عبيه .

وقد اشتهرت قرينته باشغالها اليدوية الفنية .

سانافس المستقبل !؟

□ عندما قابلته في بيت نجله الدكتور سامي مكارم ، بمنطقة تلة الخياط ، قبل وفاته بـ ٢٤ ساعة قال لي بصوت منخفض : سانافس الخطاطين الجدد .. كما نافست الخطاطين الذين سبقوني !

وابتسم الشيخ ابتسامة حزينة وهو يقول لي :

صرت اخشى من ياتي فينافسني في المستقبل .. لذلك فعلي ان انافس المستقبل !



□ الراحل الكبير يتحدث الى الزميل فاروق الجمال قبل وفاته باربع وعشرين ساعة . ويبدو في الصورة من اليمين الاب عطاالله والاب رحمة □

وقد عرضت كثيرا من اعمالها في معارض عدة ونالت المدالية الذهبية لمعرض النهضة النسائية الذي اقيم في بيروت ١٩٢٨ ، كما نالت من الدولة السورية شهادة في معرض الصنائع العربي الذي اقيم في دمشق سنة ١٩٢٩ .

ورزق الشيخ نسيب ولدين هما سعيد الاستاذ في مدرسة سوق الغرب ، وسامي الدكتور بعلم النفس ، والاستاذ في الجامعة الاميركية .

لم يدرس الشيخ نسيب الخط على يد خطاطين مجازين بل كان عنده الميل الفطري والموهبة الطبيعية لاتقان هذا الفن . وقد اخذ هذا الميل من والدته التي كانت ذات خط جميل كما ذكرنا .

لقد تحول من نجار الى خطاط بفضل الممارسة والجهد !.

وتمكن الشيخ نسيب ، من الاطلاع على خطوط القدامى في الكتب والمصاحف والمخطوطات والمعارض ، فتأثر بالخطاطين المعاصرين والسابقين من عرب واتراك وايرانيين وغيرهم .

ونشا الشيخ نسيب في العهد العثماني عندما كانت للخط القيمة الكبرى شانه شان التاريخ والشعر .

والشيخ نسيب ، يحب المنافسة ! ..

هدية !

□ صيف ١٩١٩ — اهدى الشيخ نسيب مكارم متحف الجامعة الاميركية في بيروت حبة قمح كتب عليها :

« فريضة المدح في حبة القمح » .

وتظهر هذه المنافسة في ما كتبه على حبات الارز والقمح وغيرها . اذ توصل الى كتابة قصيدة من الشعر على حبة ارز بلغ عدد ابياتها الثلاثين وعدد كلماتها مئتين وسبعة وثمانين !

وحملت المطابع عناوينه وخطه تقريبا الى كل بيت !.

واتحف المطبعة العربية بحروف مطبعية عرفت باسمه (حرف مكارم) تمتاز بمحافظتها على جمال خط النسخ ، وتعرف باللغة المطبعية بالحرف عشرين !

مميزات ..
الفن الاسلامي !

ان احدى ميزات الفن الاسلامي ، هي محافظته على ظاهرة الوحدة !

فاذا كان الفن المسيحي مثلا قد امتاز بالتنوع لارتكازه على الطبيعة فان الفن الاسلامي قد تميز بالوحدة زمانا ومكانا . !

فالفنانون المسلمون لم تستهوهم افكار النهضة الغربية الداعية الى مبادة كل تجديد وتغيير بل بالعكس ظلوا محافظين على التقليد الفني مع بعض التجديد .

واذا كان العالم الغربي قد اعطى الصورة والتمثال ، فان العالم الاسلامي قد تجنب في كثير من الاحيان الصور واستعاض عنها

أوسمة ..

□ يحمل الشيخ نسيب مكارم اوسمة عدة من الوسام المجيدي العثماني ، الى الوسام العسكري الفرنسي الموقعة براءته من المارشال فوش .

وهو عضو في عدة مجامع علمية شرقية وغربية .

وعين خطاطا فخريا للجمهورية اللبنانية وللمغفور لهم الملك عبدالله، والملك غازي الاول ، والملك فيصل الاول ملك سوريا ،فالعراق وأمير دولة الكويت الشيخ احمد الجابر الصباح .

اما الحكومة اللبنانية فقد اهدته وسام الاستحقاق اللبناني المذهب ووسام الارز .

بالخط والحرف اداة للتعبير !!

والفن العربي هو انعكاس في المجرد لكل ماضي الفنان من احاسيس انسانية وروحانية . وهذه هي ذروة الفن .

والشيخ نسيب مكارم الملتزم بهذا الفن ساهم في الابتكار واتقن انواع الخطوط جميعها .

وبفضل الشيخ نسيب ، اصبحت عيتات البلدة اللبنانية الطيبة مركزا من مراكز الخط العربي البديع ..

ولقد درس الشيخ نسيب الخط العربي طيلة خمس واربعين سنة في كثير من المدارس في لبنان ، منها مدرسة البعثة الفرنسية العلمانية («الليسيه») في بيروت من سنة ١٩٢١ الى سنة ١٩٤٩ ، والكلية الثانوية العامة في بيروت .

وقد طلب اليه احد رؤساء الجامعة الاميركية الدكتور بيار دودج الا يقصر تدريسه الخط على الطلاب فقط ، بل ان يشمل الاساتذة ايضا . وفي بعض الاحيان كان الرئيس دودج يحضر هذه الدروس .

وكذلك درس الخط في الكلية الشرقية الاسلامية في بيروت ، وفي مدرسة الثلاثة اقمار ، وفي الكلية اللبنانية في سوق الغرب، وفي مدرسة الجامعة الوطنية في عاليه .

الشيخ نسيب ..
والارض الطيبة

لوحاته ، تحدثنا عن علاقة الانسان بالامور الازلية ، وعن علاقة الانسان مع الله بواسطة اللوحة .

ولم يعزله فنه عن الارض ، بل ظل صديقا لاراضيه يزرعها ..

ولوحاته تنقلك الى عالم الفرح والصفاء ، لانها تمتاز بحيوية اللون .

***

يبقى من الراحلين الى الابدية آثار اقدام على وجه الارض ..

واكثر ما ترك الشيخ نسيب مكارم يشرف ويقدر ويحب .

ثان في الانسان تخلدان ذكراه . يبقى كبيرا ويموت كبيرا !!

□ نماذج من خطوط الشيخ نسيب مكارم :

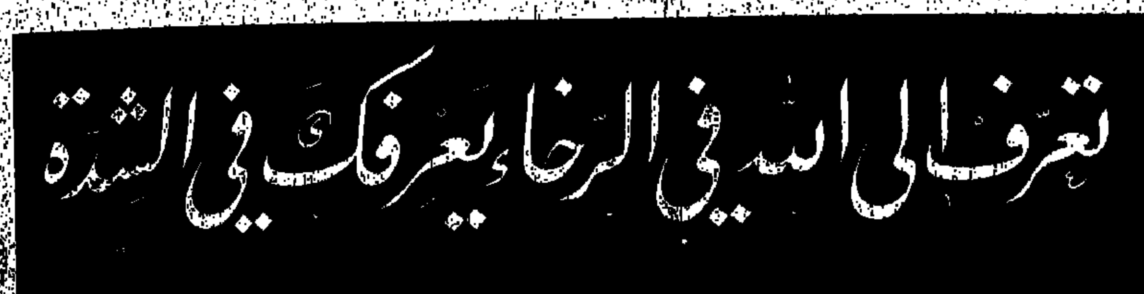
— وما بكم من نعمة الله فمن الله (ديواني مركب) —

— الحمد لله على نعمه (كوفي) —

— ... بالاصابة (كوفي) —

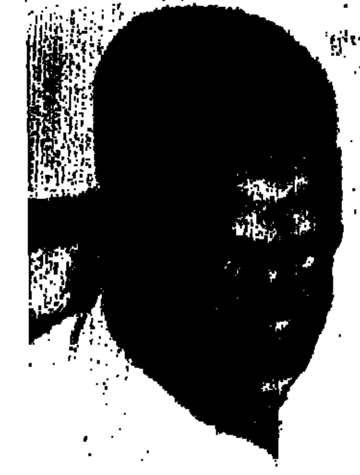


— يقيني بالله يقيني —



«السنبا» في الكونغو والخوارج في السودان:

مرتزقة مهمتها سفك الدماء ونهب الممتلكات



□ «لوي» .. أحد أفراد «السنبا» التائبين □



□ لوي فرحاً في جنوب السودان بدحر الخوارج □



□ « السيدة ليزا » : فقدنا كل ما جمعناه في عام ١٩٦٤ □

□□ عندما نتحدث عن المهاجرين الى افريقيا الضاربين ابواب الثروات ، يجب الا يغرب عن بالنا ذكر الهنود والاغريق بالاضافة الى اللبنانيين والسوريين الذين يعتبرون رواد عالم الهجرة .

ويشكل الاغريق في « جوبا » عاصمة المديرية الاستوائية في جنوب السودان جالية قائمة بذاتها ، لها نسق خاص في الحياة تتكيف من خلاله دون ان تدخل في امور الآخرين او تسمح لاحد بالتدخل في امورها الخاصة .

على اثر حضور قداس في كنيسة الاغريق لمدة ساعتين ونصف الساعة استطعت ان التقي بهذه الجالية الصغيرة التي حضرت الى الكنيسة رجالا ونساء ، شيوخا واطفالا .

وخلال الصلاة تعلق نظري بسيدة تضج بالحركة ، تركت الصلاة اكثر من مرة تلبية لطلبات اطفالها . حاولت ان اكلمها ولكن هيبة المكان حالت دون تنفيذ رغبتي .

وبانتهاء الصلاة ذهبت برفقة من كانوا معي لمضيعة السهرة في نادي الاغريق ، الوحيد في جنوب السودان الى جانب نادي الضباط الذي يجد فيه الزائر الجنس اللطيف .

« مكنسة الذباب »

في النادي وجدت نفسي ضمن مجموعة لطيفة من البشر تتكلم في كل شيء باستثناء الشؤون السياسية .

يتحدث رجالها عن الصيد ، وتتحدث نساؤها عن قساوة الحياة في هذه البقعة النائية التي لا اضواء فيها ولا مباهج .

حاولت ان اسألهم عن الخوارج ، وعن جنود «الانيا» رئيس جمهورية معسكر « مورتو » اونجي كيبول الذي استولت عليه السلطات السودانية في ٢٥ كانون الثاني من العام الجاري ، فاجابوني بانهم يستعملون « مكنسة الذباب » خوفا من قرص ذباب الملاريا !

قلت لاحدهم ان الحكومة سيطرت على الوضع كما لمست بنفسي سيطرة تامة ، لكن لا زالت هناك بعض فلول المتمردين ، وسألت عما اذا كانت هذه الفلول تشكل خطرا في الخريف المقبل فاجاب :

— في الحقيقة ان الحكومة الحاضرة حققت ما لم تحققه غيرها من الحكومات السابقة ، وهي تتجه اليوم الى ترقيت طريق (جوبا) ، محاولة اجراء نقلة للسكان الجنوبيين لتحويلهم من الحياة البدائية ، التي تقوم على القنص والجمع الى حياة زراعية تفيدهم وتعمل على نهضة المنطقة .

● والخوارج ؟

— لا اعلم عنهم شيئا .

● منذ متى وانت تسكن الجنوب ؟

— منذ ١٧ سنة عندما وصلت من طريق « بورت سودان » عبر الاراضي المصرية من الاسكندرية . وتابع ؟

عندما اتيت الى السودان كنت اعتقد انني ساجمع الثروات الطائلة في الجنوب ، لكن عدم الاستقرار الذي زرع بذوره الاستعمار الانكليزي في هذه البقعة حال دون استقرار ابناء الجنوب والمهاجرين اليه ، وبالتالي فان ما املكه اليوم يكفيني حتى اموت .

جنة لم تستغل

● وما رأيك في الوضع حاليا ؟

— لقد تحسن الجو تحسنا ملموسا عن الاسبوع الماضي فهطلت الامطار وخفت من الحرارة المرتفعة ، ان الجنوب هو جنة لم تستغل بعد ، ومتى استغلت استغلالا حسنا ستوفر للسودان بالاضافة الى الثروة الحيوانية والجلدية ثروات زراعية ضخمة ستساعد في ازدهار اقتصاد البلاد وبالتالي في عملية تحضير السكان .

● ولكن سؤالي كان منصبا على وضع الامن !

— قلت لك لا اريد الخوض في هذه القضايا الحساسة ، وكما تعلمين ان القيادة الجنوبية بقيادة اللواء عثمان مبارك رحمة استطاعت ان تحقق للجنوب من الاستقرار وللجنوبيين من الامن ما لم تحققه لهم اي قيادة سابقة .

والقيادة الجنوبية الحالية لم يقتصر عملها على حفظ الامن بل تعدت ذلك الى استقطاب القبائل التي باتت تشكو من الخوارج الذين يجوبون الادغال احتماء من السلطة . وقد شجعت كذلك الحملات الطبية المجانية التي قامت بها السلطة الاهلين على الانضباط والولاء للحكومة . ولهذا تجدين الهمس الدائر والمسموع بين القبائل يدور حول رص الصفوف مع السلطة لطرد الخوارج الذين تزعزعت سمعتهم الادبية في الداخل والخارج بعد الهزيمة الشنيعة التي منوا بها في معسكر « مورتو » الاسطورة .

● عندما كان الامن مضطربا في المديرية بجانب من وقفتم ؟

— ان الجالية الافريقية لا دخل لها في الشؤون السياسية وهذا معروف عنها في جميع المجالات وفي جميع بلاد الاغتراب ، وانما همها محصور في نجاح عملها وتامين الحماية لها لا اكثر ولا اقل .

«السنبا» اشد من الخوارج

وتركت محدثي الذي رفض المزيد من الكلام عن اوضاع الجنوب والذي انتقل ليوزع علينا الثلج الناشف ويطلق نكاته بعربية محطمة ، لاتحدث الى السيدة ليزانو تجفيس التي بدات قصتها عن الوصول الى الجنوب فقالت :

يمكنني ان اعطيك فكرة عن « السنبا » الذين يعتبرون من اهم المتمردين ضراوة في افريقيا عامه .

وباشرت السيدة ليزا حديثها دون ان اسألها عن « السنبا » فقالت :

كنت اسكن مع اولادي في الكونغو في مدينة اسمها « بولس » واسمها الحالي « اسيروا » . ولتحسن اوضاعنا المالية بعد اتساع العائلة انتقل زوجي من الكونغو الى « جوبا » وانشا كاراجا كبيرا .

بعد اندلاع ثورة « السنبا » في الكونغو وقتلهم وتشريدهم للسكان ونهب البيوت والمخازن وقتل الاجانب من البيض بسبب وبغير سبب تركنا الكونغو واتينا الى السودان . وترقرق الدموع في مآقي السيدة ليزا وهي تضيف :

لقد خلفنا وراءنا كل ما نملكه مع منزلنا الذي بنيناه هناك بعرق جبيننا وخسرنا كل ما جمعناه .

جئنا الى « جوبا » سيرا على الاقدام فمشينا من الكونغو بالعربة لغاية «دورما» على الحدود الكونغولية ومن هناك مشينا على اقدامنا مدة خمس ساعات بالغابات حتى حدود « دورما » السودانية . ومن « دورما » السودانية سرنا لمدة يومين في الغابات ذقنا خلالها الاهوال ورأينا بأم اعيننا ما لم نره في حياتنا من المخاطر والحيوانات المفترسة .

. والذي زاد في صعوبة المسير ان الفصل كان فصل امطار ، وقد اجتزنا المسافة بالعربات والسير على الاقدام لمدة ثلاثة ايام دون ان نجد ما ناكله او نشربه .

اسطورة « السنبا »

وماذا عن « السنبا » ؟

لا يمكن لاي انسان ان يتحدث عن «السنبا» او عن ايديولوجيتهم او عن الذي يريدونه سوى انهم عناصر تعمل لخدمة الغربي في بلدهم ، وقد استطاعت « السنبا » ان تتكاثر في الكونغو بسبب الطريقة التي استعملتها في نشر مبادئها .

والذي ساعد على نشر مبادىء « السنبا » تشجيع حكومة «تشومبي» لها وبالتالي امدادهم بالمال والعتاد لتخويف الشعب وقتله . وقد اتى الوقت الذي بات فيه « السنبا » خائفين من انفسهم . الا انهم كانوا مسيرين نحو القيام باعمال ربما لم يرتضوها لانفسهم .

كانوا يدخلون البيوت ويسألون السكان : هل انتم « سنبا » ؟ فمن يوافق ان يكون « سنبا » تكتب له الحياة ومن يرفض يكتب له الموت والدمار .

حتى الجنود كانوا يلقون السلاح او يسلمونه لهؤلاء المتمردين ويصيحون معهم « فالسنبا » تحفظ اهلهم واشقاءهم من الموت .

لقد صدق الشعب في الكونغو اسطورة « السنبا » في ان الشخص الذي يصبح منهم يطلي جسده بنوع من الطلاء يحفظه من الموت ويجعله يعيش فترات طويلة باستثناء المهاجرين الاجانب .

وما حدث لنا في الكونغو حدث لجميع الجاليات الموجودة هناك وكذلك للكونغوليين المتحضرين ، فكانوا كلما راوا واحدا يلبس نظارة او يرتدي بنطلونا يقتلونه لانه استطاع ان يتقدم ويتخلى عن الحياة البدائية . فالحياة البدائية كانت مطلبهم من الشعب .

وتنادي السيدة ليزا على خادمها فتقول : حتى «لوي» خادمي الامين كان من « السنبا» وقد اتيت به مع اولادي الى السودان لكي اخلصه من عمل لا يؤمن به .

واسال « لوي » عن دخوله حركة «السنبا» فيقول : في احدى المرات سالوني : انت معنا ؟ فقلت انا معكم وانتم ناس طيبون جدا ، مع العلم بانهم جماعة من اللصوص السكارى لا هم لهم الا قتل الناس والاستيلاء على اموالهم وممتلكاتهم . ويتابع لوي :

ان دستور « السنبا » كما مارسته هو السرقة والنهب واقامة حفلات الشراب بعد كل عملية نهب .

● وما هو شعورك اليوم بعد ان استقريت هنا في « جوبا » ؟

— انني سعيد جدا في البيت الذي انا فيه ، ولكنني اتمنى ان اعود الى الكونغو لارى امي واشقائي .

● وما رأيك بالمتمردين هنا في جنوب السودان ؟

— انهم ولا شك نسخة طبق الاصل عن « السنبا » لا هم لهم الا زج البلاد في حرب اهلية ونهب ممتلكات الشعب لحساب اشخاص ومتمولين اجانب ، وبالتالي ابقاء البلاد على ما هي عليه من الحياة البدائية التي بموجبها يتحقق للمستعمر استغلال خيرات هذه الارض وسذاجة اهاليها .

بعد هذا العرض لحياة « السنبا » وما حدث لهذه الاسرة الافريقية وما تحدث عنه احد افراد « السنبا » نخلص الى القول بان الخوارج في افريقيا الذين يتمردون على الانظمة التقدمية ليسوا سوى جماعة ضللهم الاستعمار وقضى على ما في نفوسها من وطنية . اما الاغريق فهم جماعة تضرب في مجاهل الارض بحثا عن الرزق والمال ولا هم لها الا الاستقرار والعمل .

ليلى خليل بديع

(اجريت هذه المقابلة في جنوب السودان)

مهرجان الشعراء الشباب الخامس بدمشق:

بين العتابا والميجانا والدبكة الشعبية

بقلم صدر الدين الماغوط



□ محمد مصطفى درويش □

□ [illegible] ميرزا □

□ سليم بركات □

□ بندر عبد الحميد □

□□ عندما تكبر الكلمة . يكبر السؤال . وفي البدء كانت الكلمة . وفي النهاية ستبقى وحيدة هي الكلمة . بيد اننا قد نقع في متناقضات . وضمن اطر معينة تنقصنا في اكثر اللحظات انسجاما مع العطاء لذة المعاناة ، والغوص في اعماق الذات الموغلة في البعد والتأثير السيكولوجي للانسان المعاصر . ان طرح المفهوم المعاصر للحداثة الشعرية اسقط الكثيرين ضمن بوتقة الانحلال الذاتي وعقم الشخصية الادبية لدى الكاتب او الشاعر . فالمفهوم الخاطىء للحداثة لا يعني باية حال من الاحوال فهمها الرائج ان كل ما هو جديد حديث . بيد ان الصراع ابتدا يمتد ويتوغل ثم يتعمق بين الحديث والجديد .

لكن ما هو المقصود من كلمة (حديث)هذه الكلمة التي تنعت اكثر فاكثر جميع اوجه الحياة في زمننا المعاصر ؟ رغم اننا قد نضيع ويضيع اكثر المتادبين في دهاليز هذه الكلمة . كان تقول شعرا حديثا ، وفنا حديثا ، وموسيقى حديثة .ولتعريف الحداثة في الشيء علينا ان نعود الى ولادة هذا الحديث ومنشاه . فكيف اذن بدا العصر الحديث . ومتى . واين ؟

لعل الانسان في بداية وعيه لقدرته ياخذ في لحظات معينة القيام بعملية طرح وجهة نظر فردية مستقلة من خلال نفسه . وقد يساوره الشك احيانا . لكن هذا الشك يبقى نتيجة صراع قوي خفي بين الظاهر والباطن وعزم حقيقي لاكتشاف عوالم نفسية تعود لصاحب الاكتشاف بالذات . وهذا يعتبر اكتشافا ووعيا لذات الاديب . ويتطور مع المستقبل الى صراع روحي مع الفراغ .معنى ذلك ان الانسان يتغير . كذلك تتغير نظرته للواقع تغيرا ملموسا ومعاصرا . وبنتيجة هذا التغير تتغير قوى اخرى . يقوم على مرتكزاتها عالم جديد على انقاض العالم الآخر . الا ان العالم العصري عالم قلق ، مهزوز ، يعاني من الفراغ الضمني ، وغير ثابت كالعالم الذي قام على انقاضه من حيث التقدم التكنولوجي ليفرض هذا الواقع على اهل الارض قاطبة . ولسنا في مجال تطور الحداثة [illegible] الجيل الشاب للشعراء . وعندما بدا الشعراء في مطلع الخمسينات رفض العقلية الادبية التقليدية والفعلية التي تتستر خلفها قاموا على انقاضها بطرح مضامين جديدة للشعر العربي المعاصر ، واشكال حديثة مستوحاة من موقف جديد ازاء الواقع الاجتماعي والسياسي . ثم تطور هذا الشيء باتجاه خلق مقومات العقيدة الجديدة التي تبنى على علاقة الانسان بتجربته الذاتية ،والحياتية ، ومن خلال رؤيا شخصية بحته ..

ما هي الحداثة ؟

« الحداثة هي الخالصة من كل رقابة عليها ، المفرغة من اسلحة اعدائها ،المتحدة باهدافها العليا اللانهائية . تحرير النفس العربية . تحرير الحياة العربية . والعمل دائما للحرية في عالم لم ينقطع العمل فيه للحرية » .

وعلى هذا الاساس لا يمكننا التراجع او التساهل او المساومة امام كل المغريات، ولعل الرعيل القديم يتهمنا بالغموض فليكن غموضا يوضح ابعادا جديدة في مسيرة الحركة الفكرية . وليكن عطاء يثبت للآخرين ان الغموض يعني البحث في ادق التفاصيل والغوص الضمني في قرارة الاشياء دون مهادنة او تراجع ، بشرط الا يكون حداثة مفرغة من الشيئية والرمزية لطرح معالم جديدة لادب اشتراكي واقعي فنقل مساساة معايشة الجيل الحضاري من حيث البنيان الاجتماعي والسياسي .

وكل ادب لا يعطي قيمة ويمس حاجة ، يبقى سطحيا وتقريريا ومباشرا . من هذا المنطلق بالذات تجب اعادة النظر في بعض المتطفلين على الادب وعلى مفهومهم السيء للحداثة من خلال فهمهم للشعر السياسي والشعر الاجتماعي .

ومؤخرا اقيم في دمشق وعلى مدرج جامعتها « مهرجان الشعراء الشباب الخامس » . ورغم تقليدية هذا المهرجان ، الا اننا نقف ملازمين له بغية استيعاب اشياء ومضامين جديدة تطرح ابعادا ادبية في معركة التحرر الفكري والذهني ، اللهم ان وجدت . من ناحيتي انني مع كل شيء جديد شرط ان يكون نابعا من ارضية ثقافية ، وبعيدا عن الضبابية المفرقة ، ويحتوي على شيلية تطرح ابعاد الجيل المعاصر . ورغم ان اللجنة الثقافية في الاتحاد الوطني لطلبة سورية (فرع جامعة دمشق) لم تعلن عن بدء المهرجان الا قبل يومين فقط ، فقد تم حضور بعض الشعراء الجيدين . فلقد اشترك في المهرجان اكثر من ثلاثين شاعرا وبعد القيام بعملية الفرز بقي المهرجان مقتصرا على خمسة عشر شاعرا فقط .

وقد قسم المهرجان الى ثلاث امسيات . اشترك في كل امسية خمسة شعراء . وفي عرض تحليلي لواقع المهرجان نستطيع ان نقسم المهرجان الى ثلاثة مونولوجيات ساخرة:

يوم المثلثات الشعرية

تقدمت دفعة الاوائل — هكذا يحسبون انفسهم وهكذا يدعون المؤلفة من وليد مشوح ، حسان عطوان ، بندر عبدالحميد، وغيرهم . تميزت سهرة اليوم الاول بتقديم بندر عبد الحميد .

حاول في طريقة الالقاء تقليد فايز خضور الا ان السقوط كان النتيجة الحتمية لموقف كهذا فهو لم يطرح في قصيدته اي شيءجديد. لقد كرر نفسه بربط بعض المقاطع ربطا متعمدا ودون وعي وكذلك تاثره بشاعرية علي الجندي . ثم تقدم وليد مشوح . ورغم ان وليد يمثل ظاهرة المباشرة والتقريرية انما طرح قصيدة تساؤلية ، فيها مواجهة حادة وعنيفة للاوضاع السياسية والاجتماعية . واتسمت قصيدته بالمقاطع الذاتية ،والاغراق في الذهنية الا ان جراتها تشفع لها لبعد اللقطة الشعرية في الشعر السياسي عنها . ثم تلاه في الوصلة الثالثة حسان عطوان . ورغم انه كان منذ عامين احسن من اليوم واجود شعرا ، الا ان انسلاخه عن واقعه الطبقي اسقطه في بؤرة الفساد الشعري ، والضحالة الفكرية . فلقد بدا وصلته بالتقليد الالقائي ليفتوشنكو وكان مدخلقصيدته مكتمل البناء الفني من حيث الشكل والمضمون الا ان اغراقه في البعد الذاتي ابعده كثيرا عن استقطاب الجمهور الاذلي له . وكان بين كل مقطع وآخر يبتعد عن الميكروفون في محاولة نسف الهوة القائمة بين الشاعر والجمهور . وقد التقى مع ضيف المهرجان الشاعر الشاب احمد خنسا الذي يعتبر تطورا كبيرا وملموسا بين شعرائنا الشباب .

اما بالنسبة للشاعرين الاخرين فلقد قاما بتقليد واضح لبعض قصائد من شعراء امثال مسعف بارودي الذي نال الجائزة الشعرية الاولى في مهرجان دمشق الشعري الثالث . ومن هذا المنطلق كانت علامات التاثروالذهنية المرهفة بادية المعالم على وجوه الحاضرين. والاغرب من ذلك التقاء شعراء اللجنة الثقافية في عناوين القصائد فكلها التقت بالثلاثية . ثلاثة مواويل ، وثلاث بكائيات ، وثلاثة اتهامات الى آخر ما هنالك من الثلاثيات ، لذلك اطلق على اليوم الاول يوم المثلثات الشعرية .

شكل آخر

قامت الشاعرة الشابة فاديا فيبور بتقديم الشاب زهير غانم على اساس انه شاعر . ويمكن ان نقر ونعترف لزهير بكل شيء الا بشاعريته . فهو رسام جيد معقول الى حد ما .

المهم تقدم زهير غانم وبدا يلقي شعره . واول ما يخيل الي ان قصيدته كانت ملفوقة على عجلة . هي من المطولات . حاول ان يعكس فيها ذاته على الاخرين من خلال موجته الشعرية فلم يفهم الجمهور شيئا !

واستمر المهرجان بتقديم الشاعر الشاب سليم بركات ، وسليم شاعر جيد ، نقينقاوة الصحراء . وهو لا يتعدى العشرين عاما . الا انه يحمل في داخله بذرة خصبة لعطاء شعري ثر مثمر . ويتميز عن رفاقه بتكنيكية القصيدة ، والنفس الطويل واغناءالمضمون . الا ان صوته الرفيع اضاع علينا لذة الاستمتاع بمضمون القصيدة .

ومن ثم جاء حاتم خريبط والقى شعرا اعطى ما يمتلكه من موهبة شعرية للجمهور وكانت القصيدة حوارا مع الذات والآخرين الا انها لا تحمل مضمونا جديدا ومعاصرا ، فلقد اعتمدت الغنائية والتقليدية في بعض الاشياء لذلك لم تكن حضارية على الاطلاق . الا انه كان اكثر رتابة في الالقاء ، وحسن صياغة اللغة وعملية التوصيل . بعده وقف الشاعر العراقي الشاب محمد الحميدي والقى قصيدة تعتبر من القصائد المستقبلية التي تسبق العصر رغم ان اكثر الشعراء المعاصرين طرحوا مضامين جديدة شبيهة بمضمونها .

والقصيدة مجمل اتهامات للواقع العربي الراهن ، ومطالبة ببعث جديد للوطن العربي المتمثل بالفارس البدوي . بيد انني اطالب هذا الشاعر بقسم كبير من القصيدة للشاعر العراقي الشاب فوزي كريم حيث التاثر واضح . لكن القصيدة ذات ابعاد سياسية واجتماعية وتعتبر من الادب الاشتراكي الواقعي .

يوم الخصب والعطاء

يوم الجودة والعطاء . يوم الطفولة . والفرح والزهو ، فارسان اطلا من عمق الجراح . خرجا كزغاليل القطا . مهاجران تكنسهما الرياح . ويوغل المطر في احداقهما . جرحان كبيران ، تعانقا ، وكان العطاء . في عيونهما تزهر المأساة ومن عمق جراحهما تتطاول باعناقها السكاكين . انهما الشاعران الشابان ميرزا ميرزا ومحمد مصطفى درويش. ولا غرو فهما طينة واحدة من جرح كبير في صدر الوطن . انهما ولدا (السلمية) جدهما المتنبي ، عريقان ، موغلان في العطاء. ينتميان للصحراء في علاقتهما ، وللجوع في توحدهما وللكرامة في موقفهما . انهما ينتميان لمحمد الماغوط وعلي الجندي وفايز خضور وسليمان عواد وسيد القصيدة النثرية .

فرخان من السمرمر المشوي على عتبات الوطن . الصحراء في قلبيهما . يردان النبع من مصب واحد . ولعل خصب السلمية يعطيهما هذه الدفقات الشعرية .

في اليوم الثالث ، ورغم اجتماع اللجنة الثقافية ومهاجمة القصيدة النثرية الوحيدة المشتركة في المهرجان ، ورغم الاصرار على اقفال ابواب المدرج حتى ساعة متاخرة فقد استطاعا اجتذاب الذواقة من الجمهور الادبي الدمشقي .

فقد ابدع ميرزا واجتذب الجمهور بطفولته وحسن القائه ومضمون قصيدته . وكانت القصيدة الى غزة الصامدة . المهم كانا احسن شاعرين خلال المهرجان ، بلا بهرجة ، وبلا اضواء . استطاعا ان يثبتا اقدامهما في ترابية الشعر . وكانا مميزين . مما دعا الجمهور لمطالبتهما باعادة اكثر المقاطع واكثر من مرة واحدة .

دخان

قصيدة بقلم جورج عتوق

(ناضر عكار)

□□ صعديه .. انما فيه افتنان
وانثريه .. فانا اهوى الدخان
يتلوى .. ساحبا اذياله
يتهادى .. غنجه غنج الحسان
ثم يعلو ، ثم يبدو شاحبا
ثم .. لا يبدو ، فننسى اين كان
والى اين مضى .. ذاك الذي
زودته بالعبير الشفتان
صعديه .. احرقي سيجاره
احرقيها .. انها للذوبان
والشفاه ما خبت نيرانها
انما هذي الشفاه جمرتان
وكما البركان .. فيها حمم
ولهيب .. وشظايا منفوان
صعديه ، ما على البدر اذا .
ولمحته غيمة او غيمتان
وانسجيه .. واسدلي استاره
وتناسي خلفها عبء الزمان
سوف يمضي العمر يا اغنيتي
مثلما تمضي سحابات الدخان

اكتشاف مسرحية جديدة لشكسبير

«النسيبان النبيلان»: آخر مسرحيات الشاعر العظيم



□ اطلع الجمهور الفرنسي بعد اكثر من ثلاثة قرون على مسرحية مجهولة لشكسبير . وعلى الرغم من ان الخبر يدعو للدهشة .. فانها ليست المرة الاولى التي تطالعنا فيها المفاجات حول شكسبير . ونحن ذاكرون ولا شك ان بعض النقاد ادعوا بان شكسبير المولود في ستراتفورد لم يكتب قط اية مسرحية ونسبوا مؤلفاته تارة « لفرنسيس باكون » وطورا « لكريستوفر مارلو » وظل هذا الشك بشخصية شكسبير الادبية يشغل معظم النقاد الى ان تم انصاف المسرحي العظيم واعيدت اليه جميع حقوقه . واليوم تترجم ولاول مرة في الفرنسية مسرحية لوليم شكسبير لم تنشر حتى الان .

تحمل المسرحية عنوان « النسيبان النبيلان » The Two NOBLE KINSMEN.

وهي من خمسة فصول ما بين شعر ونثر . وكانت قد نسبت لجون فلتشر ، اما الابحاث الحديثة فقد دلت وبصورة نهائية على ان المسرحية هي لشكسبير وان بعض المشاهد القليلة الاهمية هي لفلتشر . وعند قراءة الفصول الخمسة نتحقق من ذلك لنتساءل عن تردد اصحاب الاختصاص امام حقيقة ملموسة كهذه اذ نلمس من خلال هذه القراءة النفحة الادبية وقوة التعبير واللغة المجازية الفريدة لشكسبير الفذ ...

اما شكسبير ، قبيل عزلته في ستراتفورد حيث مات بعد ثلاث او اربع سنوات ، فقد اعطى بوصفه اهم ممثل في فرقته حقوقه لفلتشر الذي شغل هذا المنصب سنين طويلة . واخذ هذا التنازل الذي لم يبدأ الا بعد مسرحية « العاصفة » صفة التعاون الاولي بين الرجلين وظهر اثار هذا التعاون في مسرحية « هنري الثامن » . ويتضح مما تقدم ان مسرحية « النسيبان النبيلان » لحقت بقليل « هنري الثامن » وانها بلا شك اخر مؤلف لشكسبير . ولم تعلن جامعة كمبردج عن موقفها الا منذ اشهر لجاء قرارها نهائيا اذ ضمت هذه المسرحية للمؤلفات الرسمية لشكسبير .

اما موضوع المسرحية فيدور حول روابط الدم والصداقة وعلاقتها بالحب . هل يضحي شابان بحبهما لينقذا صداقتهما ؟! انها قصة محاربين باسلين (ارسيت وبالامون) كانا حفيدي الطاغية « كريون » وقد جرحا خلال معركة واسرا لدى « تيزيه » الذي اعجب بشجاعتهما فاعادهما الى اثينا وبذل لهما ما يستحقانه من عناية واهتمام . وسرعان ما التأمت جراحهما واستعادا قوتهما واحتفلا بصداقتهما المتينة وكان سرورهما عظيما لان الموت لم يفرق احدهما عن الاخر .

وتشاء المصادفة ان يجتمع هذان الشابان بصبية هي محمية « تيزية » اسمها « اميليا » فيقعان بغرامها ، غير ان الفتاة كانت قد نذرت الا تقترن برجل .

وتعترض المصاعب الكثيرة هذين الصديقين وعلى الرغم من كونهما اسيرين لا تعيرهما الفتاة اي اهتمام فقد بدأت الغيرة تنهش قلبيهما وراح تنافسهما على قلبها يهدد صداقتهما وازاء هذا الوضع لم يجدا الا حلا وحيدا الا وهو المبارزة على الموت .

ويتدخل « تيزية » لم يخضع لمشيئتهما . فماذا تكون نهاية هذه المعركة الضارية ؟ هذا ما يبلغنا به شكسبير .

وهكذا نرى ان شكسبير يعالج هنا واحدا من موضوعاته المفضلة — لعبة الحب والموت — ويزخرف موضوعه كالمعتاد بفواصل شعبية يتخللها عنف في التعبير يضيف اليه فصولا مؤثرة في الحب وتأملات عميقة في الحياة .

وتعد بعض المشاهد من اكثر ما كتبه هذا المسرحي الكبير الهاما واشدها روعة !

جنان باشو

Le Christianisme en Orient

□ على الرغم من المؤلفات العديدة التي عالجت موضوع المسيحية في الشرق ، فقد افلح هذا المؤلف القيم (بالفرنسية) الذي وضعه الاب جوزف حجار في ان يلقي اضواء جديدة على التاريخ المسيحي كله وفي ان يكشف جوانب كانت لا تزال غامضة حول المراحل التي مرت بها المسيحية في الشرق والصعاب التي تصدت لها .

ويعتمد الكتاب على وثائق ومستندات غير منشورة في وصف التاريخ الحافل بالتعاليم المسيحية في الشرق في الحقبة المعاصرة ، ويواجه هذا التاريخ من مختلف نواحيه الوجودية . ويقول واضعه انه على الرغم من هذه الرؤية الشاملة الاجتماعية السياسية للحقيقة فان تاريخ المسيحية يظل في الغالب مجهولا ليس من الغربيين وحسب بل كذلك من غالبية الشرقيين انفسهم ، وان المسيحيين الشرقيين وان كانوا قليلي العدد فانهم يفرضون وجودهم على الكنيسة كلها وحتى على السياسة العالمية بفضل تجربة تاريخهم الطويل وقيمة تقاليدهم الخصبة العريقة ، وكذلك بفضل الدور الذي يضطلعون به في تطور بلادهم الثقافي والاجتماعي .

ولا شك في ان ثمة درسا يمكن استخلاصه من هذا المؤلف هو الايمان المنتصر ابدا على القلق والضياع وقد عرف المؤلف من طريق لمسات متعاقبة واضحة المعالم عبر قرون من التاريخ المليء بالاحداث كيف يركز تحليله على خطوط القوة الرئيسية التي تضفي على الكتاب عنصري التشويق والواقعية . ان حيوية المسيحية في الشرق تشكل ظاهرة تكاد تكون مجهولة وغير معترف بها في الغالب في تطور المجتمع المعاصر . ومن هنا كانت اهمية الكتاب في انه يساعد على اكتشاف عالم جديد يتلاحم تلاحما عضويا مع كل ما يعرفه الانسان من انبعاث دنيا الشرق .

وتجدر الاشارة الى ان هذا الكتاب ينطوي على اربعة فصول تعالج بدقة واسهاب المسالة الدينية في الشرق عند انحدار الامبراطورية العثمانية ، وموضوع المسيحية في خضم الحركة الوطنية وحتى سقوط الامبراطورية العثمانية ، ثم موضوع المسيحية من خلال الوصايات الاوروبية ، ثم المسيحية منذ عهود الاستقلال الذاتي الوطنية .

هذا وقد ولد الاب جوزف حجار في دمشق سنة ١٩٢٣ ، وفي سنة ١٩٥٢ نال شهادة الدكتوراه في الحقوق المدنية والاكليريكية بعد ان قدم اطروحة عن تاريخ المؤسسات المجمعية . وقد تابع ، كاستاذ للتاريخ والحقوق ، ابحاثه في التاريخ الاكليريكي في الشرق ، ولا سيما عن طريق المراجع الاوروبية . وعين الاب حجار سكريترا دائما للمجمع السنوي لكنيسة الروم الكاثوليكية بين عامي ١٩٥٣ و١٩٥٩ ، وهو مكلف منذ سنة ١٩٦١ من قبل مؤسسة « الكسندر » الالمانية القيام بابحاث لاهوتية في باريس . والى جانب ذلك فقد عين عضوا في الاكاديمية الدولية للعلوم الدينية سنة ١٩٦٢ ، وعضوا في لجنة تحرير المجلة الدولية « كونسيليوم » سنة ١٩٦٥ ، وعضوا في جمعية تاريخ الكنيسة الفرنسية سنة ١٩٦٦ . ويشغل اليوم عضوية اللجنة المسكونية لكنيسة الروم الكاثوليكية ويقوم بوظيفة السكرتير العام لمؤتمر اكليروس الروم الكاثوليك في بيروت .

(مكتبة لبنان — ٣٢٠ صفحة من الحجم الوسط)

□ بمناسبة مرور عشر سنوات على انشاء جامعة بيروت العربية ، قام عميد كلية الاداب ورئيس قسم الفلسفة والاجتماع فيها الدكتور حسن الساعاتي ببحث اجتماعي عن الحياة الاجتماعية اللبنانية قدمه هدية الى الشعب اللبناني باسم الجامعة .

والبحث الذي يحمل اسم « حكمة لبنان .. تحليل اجتماعي لامثاله » يحتوي على قسمين : احدهما منهجي يتناول مجموعة الامثال اللبنانية التي استطاع واضعوها جمعها وبينا اصالتها ومقاصدها ونتائجها الاجتماعية ومؤكدا من خلالها ذاتية لبنان ، والقسم الثاني تحليل اجتماعي الامثال وفق خطة منهجية ملتزمة ذات هدف نفعي للمجتمع اللبناني .

(منشورات جامعة بيروت العربية)

□ تميز العدد الاخير من مجلة « الطريق » بمحور خاص عن الشعر العربي الحديث تضمن شهادات احد عشر شاعرا اشتركوا في « مهرجان المربد » الشعري من خلال اجاباتهم على السؤال التالي : « كيف تفسرون الحداثة في الشعر العربي (في الشكل، وفي المضمون ، في الموقف من العالم ، وفي طريقة التعبير عنه) . ثم هل لكم ان تحدثونا عن اسهامكم في هذا المجال ، من خلال تجاربكم الشعرية ؟». وهؤلاء الشعراء هم : سعدي يوسف، عبد الرزاق عبد الواحد ، صلاح احمد ابراهيم ، يوسف الصائغ ، عبد اللطيف اللعبي ، جبرا ابراهيم جبرا ، احمد دحبور ، طراد الكبيسي ، عبد الامير معلة ، الفردسيمان ، علي حسين خلف.

وقد اعد هذا المحور محمد دكروب الذي حضر المهرجان والقى كلمة علق فيها على عدد من القصائد التي القيت في احدى الامسيات .

من مواضيع العدد الاخرى : « المؤتمر الـ ٢٢ للحزب الشيوعي السوفياتي وقضايا العرب التحررية » لجورج حاوي ، « المكان التاريخي والكفاحي لاحداث ٢٣ نيسان » للدكتور نقولا سركيس ، اما راي الطريق فدار حول « الانفعال اللاشعوري في قيادة روجرز القلقلة » .

يا من يحن ...

□□ يا من يحن اليك فؤادي .. أو : يا من تحن اليكم افئدتنا : هل تذكرون كلام الليل السياسي الذي يمحوه نهار الواقع المر ؟!

فالتصريحات التي كانت دارجة منذ شهر .. منذ شهرين .. منذ ثلاثة اشهر او اكثر ، ما زالت دارجة هي اليوم ، هي ذاتها بالتمام والكمال ..

ولان نتيجة هذه التصريحات كانت صفرا، فستظل تعطي اصفارا باصفار ، لان سوق الحكي صار دارجا حيث لم يعد المجال يتسع لاي سوق آخر .

ولان الوطن لن يظل صامتا كل الوقت ، فان المواطنين المسؤولين يلوّنون بياناتهم حتى يظن الناس انهم تغيروا من خلالها ، وان الحالة ما على بالها شي ، وان كل شيء يرفع الرأس ، ابتداء بحفريات رأس شمرا حتى رأس الرجاء الصالح !

فيا مسؤولين : ما دامت الحالة لا تتعدى كونها قضية «رؤوس» تروح ورؤوس تجيء ، فلقد اصبح رأسمال « إن حكومة هذا البلد» : احفظ رأسك ايها المواطن من قنابل البيانات والتصريحات التي يفجرها رؤساء المسؤولية ومرؤوسوها والبين بين !

ولان التجارة صارت دارجة في كل شيء ، فلقد اتسعت مساحة الأمل في توفير العدالة الاجتماعية للجميع وفي ان تغمرنا البحبوحة التي يوفرها لنا الغيورون على مصلحة لبنان (السيد الحر العزيز المستقل) ...

***

صاروا يستطيبون الحكي عن الانتخابات المقبلة ، بعد ان نفضوا ايديهم من انتخابات ماضية صار فيها الذي صار !

وصاروا يحاولون التركيز ، والخير لقدام ، على ان الاشهر الآتية ستحمل المديد من المفاجآت السارة للذين يعرفون كيف يستفيدون من الظروف ..

وصاروا يكثرون الكلام عن معارضة وموالاة ،ويشرحون فوائد هذه واضرار تلك ، وقد كانوا في الماضي القريب يتحدثون عن اشياء غير هذه وتلك ، ولكنهم يقلبون الاسطوانة حسب ظروف الاشياء الدارجة ، ليظل الشعب يتسلى وهم ارباب التسلية !

***

زهق الناس ، وهم ما يزالون في اوج نشوتهم ..

الحقيقة ، سبقوا «ديوجين» الى اكتشافها .. كل منهم يخترع حقيقة خاصة به ، يفصّلها على قياسه الخاص ويحاول فرضها على الناس معلنا انها احسن بضاعة دارجة هذه الايام ، والذي لا تمسه خيوطها يظل ينقصه الكثير من نِعَم هذا الوضع المتعدد الجوانب ..

يعني ، كل شيء — يمر في حالة «تجربة» ..

ويعني ، ايضا ، كل ما يقال هو للاستهلاك المحلي فقط ..

والمشاريع التي يتحدثون عنها هي مجرد «مشاريع» تتخذ شكل «الاناء» الذي توضع فيه ..

***

انهم يدّعون الكثير .. ويحاولون ايهام الناس واقناعهم بان لولاهم لخربت الحالة ولكان كل شيء على غير ما يرام !

يرام او لا يرام .. ليس هذا هو المهم، المهم ان ندرك اكثر فاكثر بان ما يحدث في هذه الفترة لا يتعدى كونه مجرد شعارات لا تطعم خبزا ولا بسكوتا ..

لكن سوق الحكي في ازدياد مستمر ..

وكل يوم لنا ما يكفينا منه وما نستطيع ان نصدّر فائضه الى الخارج !

***

ماذا يريد «الجميع» ؟ !

سؤال يُطرح للمرة الالف .. ومن خلاله نعرف كم ان الفراغ يعشش حتى في ادق تفاصيل التصريحات والبيانات وما شابه ذلك ...

المستقبل لا يمزح ، والذين يعتقدون انهم اصدقاؤه اخطأوا كل المرات ..

لان التطور الحقيقي .. لان المستقبل ليس صديقا للبيانات المألوفة التي صارت تشكل احد شعاراتنا ومعزوفاتنا السياسية الوطنية ، وقد املتنا .. وصار الفراغ فيها مبدأ وغاية ..

ولئلا يُطوى الحديث ، نقول ان «المنجزات» التي حققها «تو ريو» الحكومة صارت كافية لاثبات هشاشة الاعمال الحكومية المسؤولة ..

وكل مسؤولين ونحن وانتم بخير ...

***

دائرة الحذَر والفرح

□□ آن عيناك سبقتاك الى « المكان » ، احسست ان كل ما يتحرك لدي ، تحرك فجاة راسما دائرة الحذر والفرح الخفي ، وصار حديثي مع « الآخرين » يتخذ شكل الهذيان ، وانت ما ادركت ان في تلك اللحظة بدأت ارسم طريقا وابتكر أحلاما واهذي مثل عادتي وانا كنت ما ازال خارج دائرة تفكيرك واهتمامك بي . وفجاة ، صرت اغار عليك ، خائفا كيف تركتك وحدك ...

***

من زمان ، كنت انتظر خطوك فوق وجع الزمان ...

من زمان ، وانا أتصورك واقفة ، مثل الحلم ، على جبين الالق ..

ومن زمان ، ويداك تورقان في مستحيل الاشياء ، وتصيران حزنا مضيئا حبيبا كالورد ..

***

« صاروا » ينادونك باسم الحب .. وصار الحب لديك حالة تكتب بريشة الضوء سطوك اللذيذ على الخفايا ..

وصاروا ، صاروا يزرعون لك البهجة في كؤوس العطر ، وكم كنت انت مسكونة برائحة التاريخ الآتي .. وجهك السفر المدهش ، وجسدك ، آه ، قارب الصمت الناريّ الطالع من نداءات المشتاقين ..

***

خباوك عني .. صرتُ مثل مخرجي الفجاءات ابحث عن بطلة لحكاية قادمة .. مزروعة في ظنون صبايا الوله مثل احلام العز والتمني ..

يا نار اللهفة .. يا سرا عالقا في اهداب الايام : كم حضورك يملأ المكان ..

***

اسرعت ابحث في اوراقي الماضية عن شيء من رائحتك .. صرت اسارر الاحرف والفواصل ، اغازلها ، اضحكها ، وصارت الاحرف والفواصل ، تراني مشغولا بك ، بشيء منك على اوراقي الماضية ..

***

آن رحلت ، تغير لون المسافات ، ودمعت زهرة في جنينتنا بالحي ..

***

اسرع الزمن .. قالت لي بعض لحظاته انك تحولت الى مسام في الشجر والزهر .. وحاولت ان اصوغ من تحولك نبع ورد ..

لكن الزمن .. اسرع !

لكنك انت رحلت بسرعة الزمن ...

روبير غانم